القبعة ذات الأجراس

لويجي بيرانديللو

ترجمة أماني فوزي حبشي


محمد خطاب

القبعة ذات الأجراس

تأليف
لويجي بيرانديللو

ترجمة
أماني فوزي حبشي





القبعة ذات الأجراس

Il berretto a sonagli

لويجي بيرانديللو

Luigi Pirandello



الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ‎+ ٤٤ (٠) ١٧٥٣ ٨٣٢٥٢٢
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

تصميم الغلاف: ولاء الشاهد

الترقيم الدولي: ٩٧٨ ١ ٥٢٧٣ ٣٣٣٤ ٥

صدر أصل هذا الكتاب باللغة الإيطالية عام ١٩١٧.
صدرت هذه الترجمة عام ٢٠٠٣.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٣.

المحتويات




MOHAMED KHATAB

مقدمة المترجمة

تدور أحداثُ المسرحية عن زوجة تشكُّ في خيانة زوجها لها، وتقرر الانتقام منه بأن تُبلغ عنه للقبض عليه متلبِّسًا، وبالفعل يتمُّ القبض على الزوج وعشيقته. ونرى منذ البداية كيف أن الشخصيات التي تفهم ما تفكر فيه الزوجة تحاول إثناءها عمَّا تنوي عمله، مثل خادمتها، والنائب الذي ستتقدم إليه بالبلاغ، بل وكاتب الزوج الذي هو زوج العشيقة. وبعد القبض على الزوج وزوجة تشامبا (الكاتب) تحاول جميع شخصيات المسرحية أن تقلِّل من حجم الموقف، خوفًا من مكانة الزوج في المجتمع، وانتقامه منها، أو من أن يقتل تشامبا كلًّا من رئيسه وزوجته. ينجح الزوج بالفعل في أن يقنع النيابة ببراءته، ثم تتجمع كل الشخصيات، على الرغم من معرفتهم أن هذا يحدث بالفعل، بل ويحدث في كل بيت، بإقناع الرأي العام بأن الخطأ هو خطأ زوجة الرجل الذي وجَّهت له الاتهام، وتتصاعد أحداث المسرحية من خلال محاولة الجميع إقناع الزوجة ببراءة زوجها وبخطئها ونزع المصداقية منها، لحفظ ماء وجه الزوج ذي المكانة الاجتماعية الرفيعة والزوج الآخر زوج السيدة المتهمة.

وهنا نرى أن الأهمية التي يركز عليها المجتمع هي أهمية مظهر الرجل (أيْ مظهر الإنسان) سواءٌ المتهم بالخيانة أو الذي تعرَّض للخيانة، وكل الأشياء يجب أن تعمل للحفاظ على المظهر العام بغض النظر عن الحقيقة، التي من الأفضل دفنها.

كتب بيرانديللو النسخة الأصلية، باللغة الصقلية عام ١٩١٧م، أيْ منذ حوالي مائة عام، ثم قام بتعديل الكثير من المَشاهد بناءً على طلب الجمهور، قال عنها بيرانديللو إنها مسرحية وُلدت ولم تُكتب؛ حيث كُتبت للعرض على خشبة المسرح ولم تُنشر بالفعل إلا بعد ذلك بعدَّة أعوام.

إن «القبعة ذات الأجراس» هي أيضًا مأساة ذلك الرجل الذي تخونه زوجته، ويَقبَل ألم أن يتقاسم حُبَّ امرأته مع رجلٍ آخر حتى لا يفقدها، يقول ذلك «تشامبا» في جزءٍ له من الحوار، لا يتحدث فيه عن نفسه ولكن يتحدث عن شخصية افتراضية في موقف شبيه بموقفه.

الجو العام للمسرحية ينتصر لما هو ظاهر، فنحن أمام قرية يعاني فيها الجميع من الخيانة، يعرف الجميع ولكنهم يفضلون التظاهر باللاشيء. فنحن أمام إنسانية صامتة وخبيثة، تتمثل في شخصية تشامبا، الذي يحاول باستماتةٍ الدفاعَ عن زواجه التَّعِس وإنقاذ موقفه في الظاهر.

وُلد لويجي بيرانديللو عام ١٨٦٧م في جيرجينتي في صقلية، بدأ دراساته للآداب في جامعة باليرمو، واستكملها في روما ثم أنهاها في ألمانيا، حيث تخرَّج برسالةٍ متخصِّصةٍ في اللغويات من جامعة بون (لهجة جيرجينتي ١٨٩١م)، وبدأ عمله الأدبي كمترجم، حيث ترجم بعض أعمال جوته الشعرية، والتي أظهرت لديه موهبته الشعرية فنشر بعض الدواوين في الفترة بين «١٨٨٩ و١٩١٢م».

استقرَّ في روما بدءًا من عام ١٨٩٣م، وقدَّمه كابوانا في الأوساط الصحفية والأدبية، فكرَّس نفسه للنشر والإبداع (حتى إنه بدأ عام ١٩١٣م أيضًا بموضوعات وسيناريوهات للسينما)، وكان يعمل في التدريس في الوقت نفسه، حيث كان يدرِّس في المعهد العالي لإعداد المُعلِّمات (١٨٩٧–١٩٢٢م). كان للكارثة المالية التي حدثت لأعمال والده فقضت على كل ممتلكات الأُسرة عام ١٩٠٣م تأثيرٌ كبيرٌ على حياته، وخاصةً على الصحة النفسية لزوجته أنطونيتا بروتولانو التي تزوجها عام ١٨٩٤م، والتي اضطرَّ بعد أعوام (عام ١٩١٩م) إلى إدخالها مصحةً للأمراض النفسية في روما.

بدايةً من عام ١٩١٥م بدأت خبرة المسرح تبتلعه تمامًا، حتى إنه عمل كمُخرجٍ مسرحي، وكان يتنقل أيضًا في الخارج. تولَّى إدارة مسرح الفن في روما في الفترة (١٩٢٥–١٩٢٨م)، وأنشأ فرقته الخاصة، وقدَّم بها أعمالًا كثيرةً في جميع أنحاء أوروبا وفي نيويورك، وتعطَّل في تلك الفترة إنتاجه الأدبي حيث كان يعمل مديرًا للفرقة. كانت مارتا آبا هي ممثلة الفرقة الأولى، وارتبط بها بيرانديللو ارتباطًا عاطفيًّا حتى موته. أثار الحنق بطلبه المُعلن بأن ينضمَّ إلى الحزب الفاشي عام ١٩٢٤م. وفي عام ١٩٣٤م حصل على جائزة نوبل في الآداب.

تميزت أعماله في فترة الشباب بالنزعة التشاؤمية، وفي رواياته التالية في بداية القرن العشرين بدأت تتضح لديه رؤيةٌ أكثر إشكالية وواقعية للحياة وللعالم. وعلى الرغم من

تأثره بالنزعة الواقعية للمدرسة الصقلية (دي روبرتو، كابوانا وفيرجا) ركز بيرانديللو اهتمامه على التناقضات التي تتضح لدى الشخصيات وفي الأحداث، بين الكائن والرأي، ويتدخل في الحكْي بنزعة السخرية التي تتجاوز القواعد الطبيعية للحياد الروائي، وبينما يميل إلى الكتابة باللغة العامية.

وتتساءل معظم مسرحيات بيرانديللو: ما الواقع؟ وما الحقيقة؟ ربما استخدم أكثر من مرةٍ في أعمالٍ له تقنية المسرح بداخل المسرح، وتميز ذلك في ثلاثةٍ من المسرحيات المعروفة: «ست شخصيات تبحث عن مؤلِّف» (١٩٢١م)، وهي تمثيلية وهمية عن ستَّةٍ يزعمون أنهم شخصياتٌ في مسرحية ليس لها مؤلِّف يوجِّه أفعالهم، يبحثون عن مؤلِّف، وعمَّن يمثِّلهم على خشبة المسرح. وأيضًا «الليلة سنرتجل» (١٩٢٨م)، والتي تتناول عرضًا مسرحيًّا فيه ينتظر المتفرجون في الصالة بينما تُسمع أصواتٌ من خلف الستار، وبينما يطالب المتفرجون بالهدوء وبداية العرض، يبدأ العرض بالممثلين يتناقشون مع المُخرج، ونكتشف أن منهم مَن يجلس بالفعل في الصالة وسط الجمهور. ومسرحية «كل امرئٍ على طريقته» (١٩٢٥م)، والتي فيها تدور أحداث المسرحية في مكانين مختلفين؛ المسرح من جهة، ومن الجهة الأخرى الأماكن التي عادةً ما يستخدمها الجمهور، مثل المدخل والصالة. وحسب الناقد المسرحي إيليجو بوسينتي، فالمسرحية تتناول التناقض الداخلي لدى كل إنسان بين تصرفاته الظاهرة ودوافعه.

تميزت مسرحياته بصفة عامة بذلك الحسِّ الساخر في عرض مآسي الحياة، تلك الرغبة لدى البشر في الاختباء خلف مختلف الأقنعة، الشخصية الإنسانية وصراعها بين حقيقتها الداخلية والقناع الذي تواجه به الآخرين. وكان يرى أن مأساة الإنسان تكمن في التناقض والتمزق بين الحقيقة الخارجية وما يُظهره للآخرين، بينما كان بيرانديللو يرى أن الحقيقة المطلقة شيء لا وجود له، لأنها نسبية، ولأن لكل امرئٍ حقيقته.

في روايته الأخيرة «واحد، ولا واحد ومائة ألف» يتناول بيرانديللو، ولكن بعمق فلسفي أكبر، موضوعه الأثير الخاص بما يُظهره الإنسان عن نفسه المخالف عمَّا يُبطنه. تتناول الرواية شخصية رجلٍ ثري، يبدأ في مراجعة حياته فيرى كيف أنه يَظهر بألف شخصيةٍ لَمن حوله، ثم يصل إلى قناعة أنه لكي يصل إلى جوهر ذاته الحقيقي، ويرضى عن نفسه بالفعل، لا بدَّ وأن يتخلص من المائة ألف قناع السابقة. يجد الثريُّ نفسه في نهاية الأمر وقد تخلَّى عن حياته السابقة كلها ليعيش في وكر شحَّاذين، وهناك يحاول أن ينقل ذاته إلى موضوع، فهو يقرر أن يُولد من جديد، بلا ذكريات، وأن يعيش حياته كل يوم كلا

أحد، وكمائة ألف شخصٍ في الآن ذاته. الرواية فلسفية، وعلى الرغم من قِلَّة صفحاتها إلا أن بيرانديللو استغرق زمنًا طويلًا (حوالي خمسة عشر عامًا) لينجزها وينشرها بعد ذلك. ويقول عنها إنها الأكثر مرارةً وأكثر سخريةً من أيِّ نصٍّ آخر كتبه.

نُقلت معظم مسرحيات بيرانديللو إلى اللغة العربية، قام بذلك باقةٌ من المترجمين ومن أبرزهم الأستاذ محمد إسماعيل محمد والأستاذ سعد أردش، وقدَّم باقةٌ من عمالقة المسرح المصري تلك المسرحيات للإذاعة المصرية، ولا زالت التسجيلات موجودةً للاستماع إليها، والاستمتاع بها على موقع اليوتيوب الخاص بالبرنامج الثقافي.

الشخصيات

تشامبا: الكاتب.

السيدة بياتريتشي: فيوريكا.

السيدة آسونتا لا بيللا: والدتها.

فيفي لا بيللا: أخوها.

مفوَّض الشرطة: سبانو.

الغجرية: الدلَّالة.

فانا: خادمة السيدة بياتريتشى العجوز.

نينا تشامبا: زوجة تشامبا الشابة.

جيران: جارات منزل فيوريكا.

في بلدة في صقلية.
اليوم.

الفصل الأول

(صالون في منزل فيوريكا مؤثَّث بأثاثٍ فاخرٍ على الطراز القروي – مدخل عادي في آخر الصالون، مدخلان جانبيان على اليمين وعلى اليسار بستائر.)

(الديكور لا يتغير في الفصلين.)

المشهد الأول

(السيدة بياتريتشى – الغجرية – فانا)

(بمجرد أن يُرفع الستار نرى السيدة بياتريتشى جالسةً على الأريكة تبكي، والغجرية تجلس أمامها وتنظر إليها بأسًى.)

فانا (وهي تشير للسيدة التي تبكي)**:** هل أنتِ سعيدةٌ الآن؟ أين ضميرك؟ ألا تدركين أنك تُشعلين النيران؟ ألا تدركين أنك هكذا تُدمرين عائلة؟

الغجرية (امرأة ممتلئة القوام، قوية، قبيحة، عمرها حوالي الأربعين، مبهرجة، ترتدي زيًّا فضفاضًا من الحرير أصفر اللون من ناحية الصدر وشالًا من الحرير أيضًا لونه سماوي، ضيِّقًا من الوسط، تنهض)**:** آه، ماذا تقولين؟ ضمير، نيران؟ سيدتي من فضلك!

بياتريتشى (في حوالي الثلاثين من العمر، شاحبة، مُصابة بهيستريا من شدَّة الانفعال، وتنتابها نوبات غضبٍ فجائية، تستكمل البكاء)**:** لا تصغي إليها ... لا تهتمي بها ...

الغجرية: لا، اسمحي لي، قولي لها إنني لم أفعل سوى إطاعة أمرٍ محدَّدٍ من سيادتك.

بياتريتشى: هل تريدين إذَن أن تعبئي بها؟

فانا: لي أنا؟ لا يا سيدتي! أنا لست سوى خادمتك.

ولكنْ عليها أن تعبأ بالسماء وحساب السماء! علينا أن نهتمَّ جميعًا بهذا!

بياتريتشى (في نوبة غضب)**:** اخرجي! اذهبي إلى المطبخ! اهتمِّي بما يخصُّك!

الغجرية (مُمسكةً بذراع فانا لتوقفها)**:** آه، لا لا، انتظري يا سيدتي، وأنتِ أيضًا انتظري. إننا جميعًا سادةً وخدَمًا لنا روحٌ ووجودٌ أمام الله. ولا أريد الثرثرة بشأن حساب السماء معي، وما هو الضمير! ضميرك؟ هل أن ترين تلك السيدة المسكينة وهي تبكي دمًا، وتشعر بألم الجحيم وأن تقولي: «لم يحدُث أيُّ شيء! لتتذرعي بالصبر! قدِّمي ألمك لله!» أهذا هو الضمير؟!

فانا: نعم! نعم! هذا هو ما يجب أن يفعله مَن يخاف الله!

بياتريتشى: آه، إذَن إذا أهانك رجلٌ وسحقك ... هكذا ... تحت قدميه! فهي إرادة الله! أليس كذلك؟

فانا: لا، أنا فقط أقول إننا يجب أن نقدِّم معاناتنا إلى الله يا سيدتي!

ولكن منذ متى — اسمحي لي — تتم مواجهة الرجال بهذه الطريقة، وجهًا لوجه؟ ما فائدة استخدام القوة مع مَن هو أقوى منَّا؟ رويدًا رويدًا يا سيدتي، ليكون الهجوم من الجانب وليس من الأمام، بالكياسة والمعاملة الحسنة يعود الرجال إلى بيوتهم.

الغجرية: آه فعلًا! كم يُعجبني هذا، لتتحول هكذا إذَن كل النساء إلى نعالٍ في أحذية الرجال.

فانا: لا يمكن لسيدتي أن تقول هذا إذا حكَّمت ضميرها. إنها تُعامَل في المنزل كملكة، فزوجها الفارس حريصٌ عليها ويحترمها ولا يجعلها تفتقد أيَّ شيء.

بياتريتشى: أتستطيعين أن تصمتي؟ حريصٌ ... آه فعلًا، ويحترمني بالتأكيد، لا أحتاج لشيءٍ والمنزل مليء ... ولكن في الخارج، خارج المنزل، ماذا يفعل؟! وسلامي؟ ومشاعري؟ إذَن أنتم تنظرون لما بالداخل وتُخفون عني ما يحدُث بالخارج؟

الغجرية: هل تُسمين هذا ضميرًا؟ آه، في بلدي يطلقون على هذا إخفاء الشمس بالمصراع الخشبي! ... آه ألم تكوني أنتِ مَن أتى إلى منزلي ليدعوني للحضور لهذا المنزل؟! نعم أم لا؟!

فانا: أتيتُ إليك طاعةً للأوامر، ولم أكُن أستطيع سوى ذلك!

الغجرية: آه! حسنًا جدًا! ألم أكُن أنا أيضًا أطيع الأوامر؟ ألم تكُن كلمات السيدة لي: أيتها الغجرية، ساعديني، زوجي وفلانة الفلانية يقومان بكذا وكذا، هل تستطيعين أن تُطلعيني على الحقيقة؟!

إن منزلي يحترق، وأريد أن أخرج من هذا الوضع بأيِّ ثمن! ألم تقولي لي ذلك؟!

بياتريتشى: بلى، بلى، وأريد أن أخرج من هذا الوضع، فورًا إلى الأبد!

فانا: آه أيتها العذراء!

الغجرية: وما دخل العذراء في منزل دخلته الغيرة؟ إنه منزل مُدمَّر، انتهى أمره! إنه الزلزال الأبدي، إنه كلامي لكنْ صدَّقوه! وإذا كان هناك أطفال بينهم …

فانا: هذه هي الكارثة الحقيقية … عدم وجود الأبناء!

الغجرية: هكذا إذَن؟ ليكبِّلوا جسد هذه السيدة؟ وإذا كانت تقول بالفعل إنها تريد ترك هذا المنزل!

فانا: إنها تقول هذا ولكنها تبكي لذلك في الوقت نفسه!

بياتريتشى: إنني أبكي من الغضب! إذا وجدته هنا أمامي لكنتُ مزقته إربًا! قولي، قولي يا غجرية، هل يمكنني أن أفاجئهما فعلًا في الغد؟!

الغجرية: مثل عصفورين بداخل العُش، في أيِّ ساعةٍ سيصل السيد غدًا؟

بياتريتشى: في تمام العاشرة!

الغجرية: إذَن فلتضعي في حساباتك إنه في الساعة العاشرة والنصف ستقومين سيادتك بالقبض عليهما متلبِّسين معًا، وهما غايةٌ في الجمال والحيوية، وعيناكِ مغلقتان، يكفي أن تقدِّمي بلاغًا للمفوَّض، وسأتولى أنا تدبير كل شيء آخر. ولكن قولي شيئًا واحدًا، هل حقيقي أن السيد قبل أن يصل إلى كاتانيا يجب أن يمرَّ بباليرمو؟!

بياتريتشى: نعم حقيقي، لماذا؟

الغجرية: ولكن … لأنني … لأنني أعلم … لا شيء لا شيء.

بياتريتشى: تكلمي! تكلمي! … ماذا تعرفين؟!

الغجرية: ولكن! بسبب هديةٍ ما، وعدها أن يُحضرها لها من باليرمو.

بياتريتشى: هدية؟ لها؟

الغجرية: عِقد جميل، نعم يا سيدتي، عِقد بقلادة.

فانا: لا يمكن أن تكوني امرأةً، أنتِ الشيطان نفسه.

الغجرية: اكتبي، اكتبي المحضر يا سيدتي.

بياتريتشى: لا … لا … من الأفضل — يا إلهي! سأنفجر — من الأفضل أن أستدعي مفوَّض الشرطة سبانو، فهو صديق لنا (يدين بكل ما لديه لأبي، رحمه الله). سيخبرني هو كيف يجب أن أتصرف، بل لتذهبي أنتِ يا غجرية لتستدعيه.

فانا: سيدتي، أرجوكِ يا سيدتي، فكري في الفضيحة.

بياتريتشي: لا شيء يُهمُّني.

فانا: يا سيدتي إنك هكذا تدمِّرين نفسك.

بياتريتشي: سأتحرر! سأتحرر! سأتحرر! اذهبي أيتها الغجرية؛ دعينا لا نفقد المزيد من الوقت.

فانا (وهي تمنع الغجرية)**:** لحظة ... لحظة ... يا سيدتي سامحيني، ولكنْ هو، زوج تلك المرأة (إذا كان هذا حقيقيًّا)، هل فكرتي في هذا الشخص، في تشامبا يا سيدتي؟

بياتريتشي: أجل، فكرتُ في كل شيء، فيه هو أيضًا، لا تتدخلي! وأعلم جيدًا إلى أين يجب أن أرسله.

الغجرية: وما الحاجة إلى ذلك؟ إلى أين تريدين إرساله؟ سيفكران هما في ذلك! ولكن لتكوني متأكدةً منذ الآن أنه بمجرد أن يعود السيد ويدخل إلى المكتب سيستدير تشامبا وسيذهب من نفسه.

فانا: مَن؟ تشامبا؟! أنتِ مجنونة! ماذا تريدين أن تقولي بذلك للسيدة إن تشامبا يعرف كل شيء ويصمت؟

الغجرية: لتصمتي أنتِ! أنتِ لا تعرفين شيئًا.

فانا: احترسي، أنتِ مُخطئة، ترتكبين خطأً فادحًا.

الغجرية: بالفعل لأنه إذا كان يعلم أيَّ شيء سينتهي الأمر مستخدمًا الطلقات طراخ طراخ! استيقظي ... كيف إذَن يرى زوجته بقُرطٍ مثل الذي ترتديه السيدات، وأربعة خواتم في أصابعها؟ وسيراها غدًا وعلى صدرها عِقدٌ بقلادة، وسيعتقد أنها حقًّا اشترت كل هذا بمدَّخراتها، أليس كذلك؟! استيقظي! إنه بمجرد دخول السيد إلى الحانة يخرج هو على الفور إلى الشارع، وأنفه مرتفعة في الهواء، ويذهب ليتجول هنا وهناك.

فانا: إنه يفعل ذلك طاعةً للأوامر، طاعةً للأوامر، الرجل المحترم يرسلونه لقضاء خدمةٍ ما؟ إنهم يتمسكون به لهذا ... ولكن الجميع يعلمون أن كل مرة يخرج فيها من المكتب يُنزل عارضة الباب ويضعها في باب غرفته المجاورة.

الغجرية: بالفعل، والسيد يرفعها من جديد.

فانا: ولكنه يغلقها بالسلسلة والأقفال.

الغجرية: فعلًا! والسيد لديه المفتاح.

بياتريتشي: آه، كفاكما؟ قلتُ اخرجي ولا تُقحمي نفسك في الموضوع!

(للغجرية) سنُبعد تشامبا من هنا، بل سأجعله يرحل الليلة، بل ... أنتِ يا فانا تعالي إلى هنا ... آه ولكن ... لا تحاولي أن تجعليه يفهم أيَّ شيء ... هل أستطيع أن أثق بك؟

فانا: سيدتي العزيزة، لتصيبني الحمَّى! لقد حملتك بين يديَّ وأنتِ رضيعة! ألا تريدين أن تثقي بي؟ (وتبكي).

بياتريتشي: هيا، هيا لا تبكي الآن!

فانا: إنكِ يا سيدتي لديكِ أخ، وأُم، سيدتي، لتأخذي برأيهما، لتستمعي لنصائحهما، إنهما من دمك ولا يمكنهما خيانتك!

بياتريتشي: قلتُ لك كفى! لا أريد أن أستمع لأحد! اذهبي لتستدعي تشامبا على الفور! وأنتِ أيتها الغجرية، اذهبي للمفوَّض سبانو؛ اطلبي منه أن يأتي إلى هنا لأجلي ... الآن ... فورًا.

الغجرية: بالعكس يا سيدتي.

بياتريتشي: كيف بالعكس؟

الغجرية: أرسليها هي (تشير إلى فانا مؤكدةً) إلى المفوَّض، وأتولى أنا أمر تشامبا.

بياتريتشي (لفانا)**:** وهل تعرفين أنت كيف تذهبين للمفوَّض؟

فانا: إذا أمرتني سيدتي بهذا ...

الغجرية: آه يا سيدتي، لا تضعي في ذهنك ... ولا أنتِ أيضًا! أن مأساةً ستحدُث، لا إطلاقًا! ستعطينه درسًا صغيرًا وهذا يكفي.

سأخبرك، منذ أربع سنواتٍ طردت زوجي ركلًا من المنزل، وهو يتبعني الآن كالكلب ولا يبتعد إلا عندما أستدير وأنظر له وعيناي يتطاير منهما الشرر، أقول: هكذا إذَن، ويرتعد خوفًا، إنه درس صغير ليس إلا ... بعدها يتراجعون وذيلهم بين أرجلهم، وهو شيءٌ ممتع. سأذهب الآن. لقد اتفقنا أليس كذلك؟ أنت يا سيدتي قوية؟ لا يجب أن ...

بياتريتشي: قوية، قوية ... بل قوية جدًّا.

الغجرية: إلى الغد؟

بياتريتشي: إلى الغد.

الغجرية: أقبِّل يد سيدتي وسأذهب لأستدعي تشامبا.

(تقترب من الباب في آخر الصالون، وقبل أن تصل إليه يدق الجرس بقوة.)

آه، شخصٌ ما بالباب!

بياتريتشي (لفانا التي تقترب لتفتح)**:** انتظري. ربما كان أخي، آه إذا كان هو فلن أوصيك!

(وتشير لها بأن تلتزم الصمت.)

فانا: إذا أرادت سيدتي فلن أتكلم (وتتجه لتفتح الباب).

المشهد الثاني

(بياتريتشى – الغجرية – فيفي لا بيللا)

بياتريتشى: لقد طلبتُ حضوره عمدًا لأتأكد من رحيل تشامبا.
الغجرية (تعارضها بشدة)**:** لم يكُن هذا ضروريًّا! من الأفضل أن نكون أقلَّ عددًا، يا سيدتي، في مثل هذه الحالات! وقد زاد العدد بالفعل عن الحد، فأنا هنا ...
بياتريتشى: فانا محلٌّ للثقة لا تخشَيْ شيئًا. بالنسبة لأخي اتركي الأمر لي، سأتدبر أمره.

(ويدخل من الباب فيفي لا بيللا، شابٌّ وسيم، أنيق في حوالي الرابعة والعشرين.)

الغجرية (تنحني)**:** خادمتك يا سيدي.
فيفي (ينظر إليها باحتقار)**:** آه، أنتِ هنا؟
الغجرية: كنتُ على وشك الانصراف.
بياتريتشى: أجل، لتذهبي ... كما اتفقنا، أنتظر تشامبا حالًا.
الغجرية: اعتبريه وصل بالفعل، أقبِّل يدَيكما.

(تخرج من الباب.)

المشهد الثالث

(بياتريتشى، وفيفي لا بيللا)

فيفي: وماذا لديك إذَن لتتقاسميه مع تلك الشمطاء؟
بياتريتشى: أنا؟ لا شيء. لقد حضرتُ لخدمة.
فيفي: ألا تعلمين أن أيَّ سيدة محترمة لا يمكنها أن تستقبلها دون أن تخاطر بالتورط معها؟

بياتريتشي: فعلًا؟ لأنها تعرف كل فضائحكم ومصائبكم أنتم أيها الرجال وتخافون أن تعرف زوجاتكم أو أمهاتكم شيئًا عنها.

فيفي: ذكية جدًّا بالفعل، فلتضعي دائمًا تلك الأفكار الرائعة في ذهنك، ثم قولي لي إلى أين ستقودك!

بياتريتشي: آه، أعلم جيدًا إلى أين ستقودني، لا تقلق! إنكم جميعًا ليس لكم هدفٌ سوى أن تخرسوني هنا، وتُخفوا عني كل شيء.

فيفي: يملؤك الحنق على الجميع.

بياتريتشي: هل أحضرتَ لي النقود؟

فيفي: نعم أحضرتُها.

بياتريتشي: لهذا إذَن تتحدث هكذا. أذكر عندما كنت تحتاج إلى النقود (تقلده وهي تتحدث بصوتٍ منكسرٍ ورقيق) «أختي العزيزة، أرجوكِ، ساعديني! أنتِ إنسانة طيبة، أنقذيني، لقد قامرتُ وخسرت؛ سأُصاب بالعار.»

وتعلم جيدًا أنني أُجبرت على اللجوء لتلك «الشمطاء» التي لا يمكن لامرأةٍ أن تستقبلها دون أن تخاطر بأن تتورط، لأجلك أنت، لأرسلها إلى باليرمو لترهن — سرًّا حتى لا يعلم زوجي — قُرطي وأسورتي.

فيفي: آه، هل جعلتِها تَحضر إلى هنا بسبب هذا الرهن؟

بياتريتشي: هيَّا إذَن، أهذا كل شيء؟! هل أحضرتَ المبلغ كله؟

فيفي (وهو يُخرج محفظته)**:** ينقصه شيءٌ بسيط.

بياتريتشي: كنت أعرف. كم؟

فيفي: إذا كان بإمكانك الانتظار، لا أقصد فترةً طويلة، فقط خمسة عشر يومًا. لا أعرف لماذا أنتِ غامضةٌ هكذا.

بياتريتشي: أريد أن يكون قُرطي وأسورتي غدًا مساءً هنا في البيت. لقد أرسلتُ لتشامبا خصيصًى لهذا الغرض، وسأجعله يرحل الآن.

فيفي: هل شكَّ زوجك في شيء؟ ألا يجب أن يصل غدًا؟!

بياتريتشي: تمامًا، لأنه سيَحضر غدًا.

فيفي: مَن ذا الذي يفهمك؟ وهل لا بدَّ لك أن تتزيني بمجوهراتك كلها غدًا لاستقبال زوجك؟

بياتريتشي: وكيف لا! لا بدَّ أن أُعدَّ له استقبالًا حافلًا؛ سترى، سترى كيف سأحتفل به. (يُسمع صوت جرس الباب) ها هو تشامبا، أعطني، أعطني المال، هل ينقصه الكثير؟

فيفي (وهو يُخرج النقود من محفظته)**:** خذيها، عُدِّيها بنفسك، لا أعرف ... تبدو كأنها ثلاث ورقاتٍ فئة مائة ...

بياتريتشى (تعُدُّ النقود)**:** وواحدة فئة خمسين، إذَن ينقص مائة وخمسون ليرة.

فيفي: قلتُ لك، إذا كنتِ تستطيعين انتظاري ...

بياتريتشى: كفى ... كفى ... سأكملها أنا، يمكنك أن تذهب الآن.

المشهد الرابع

(فانا، وفيفي، وبياتريتشى، ثم تشامبا)

فانا (أمام الباب)**:** إنه السيد تشامبا، هل أدعه يدخل؟

بياتريتشى: دعيه يدخل. ولكن انتظري، تعالي إلى هنا.

(تأخذها على انفراد وتقول لها هامسةً) اذهبي أنتِ الآن إلى حيث أرسلتُك.

فانا (هامسةً)**:** إلى المفوَّض؟

بياتريتشى: قولي له إنني أتوسل إليه أن يأتي إليَّ، وإذا حضر على الفور أدخليه من هناك، من غرفة المكتب، خذي معك المفتاح وأسرعي.

فانا: أجل يا سيدتي سآخذ شالي وأذهب.

(وتخرج.)

فيفي: ولكن لا أحد يمكنه أن يعرف ماذا تدبرين؟ ما كل هذا الغموض؟

بياتريتشى: ها هو تشامبا. اصمُت.

(يدخل تشامبا من الباب؛ رجل عمره حوالي خمسة وأربعين عامًا، شعره كثيفٌ وطويل، ملفوفٌ للوراء بلا تنظيم، لا شارب له، تغزو وجنتيه قُصَّتان متدليتان حتى أسفل عينيه المتسعتين واللتين تلمعان بحدَّة، وقسوة، بل وتتحركان كثيرًا خلف النظارة السميكة ذات القلابة. يضع خلف أذنه اليمنى قلمًا، ويرتدي ملابس تشريفة قديمة.)

تشامبا: أُقبِّل يد سيدتي. آه العزيز السيد فيفي ... مستعدٌّ لتنفيذ أوامر سيدتي.

فيفي: إنك دائمًا «مستعدٌّ» أيها العزيز تشامبا.

تشامبا: أجل يا سيدي، كثيرًا جدًّا أكون مثل المسيح المصلوب، ولكن أليس مصطلحًا مهذبًا، إذا لم أكُن مخطئًا، «مستعدٌّ لتنفيذ الأوامر»، إلى جانب أنه واجبي هنا كخادمٍ حقير؟

بياتريتشي: آه، فلتقُل شيئًا آخر، أنتم خدم؟! إننا جميعًا سادةٌ في هذا المنزل يا عزيزي تشامبا ولا تمييز بيننا؛ أنت، فيفي، زوجي، وأنا وزوجتك، مَن يدري؟! أمي، فانا! جميعنا متساوون! بل ولا أحد يعلم إذا كنتُ أنا آخركم جميعًا!

تشامبا: أرجوكِ الرحمة يا سيدتي! ما هذا الذي تقولينه؟!

فيفي: دعها تقول! إنها تقول هذا لأن جميع النساء في رأيها ...

بياتريتشي: آه، ليس جميعهن، بعضهن! فقط لأن هناك نساءً أخريات يعرفن كيف يحصلن على المعاملة الحسنة، وكيف يتظاهرن بالوداعة، ويتمسَّحن ... هكذا (وتمرِّر يدها على وجنتها)، أولئك يقفن فوق الجميع، حتى وإن جئن من الطرقات.

تشامبا: اسمحي لي يا سيدتي لقد ذكرتِ أيضًا زوجتي!

بياتريتشي: لا، أقول هذا بصفةٍ عامة؛ فانا، أمي، أنا ... زوجتك.

فيفي: جميعهن نساء، وجميعهن متساويات!

تشامبا: سامحيني! وأطلب منكَ المعذرة يا سيد فيفي، ولكنْ أعتقد أن زوجتي — حتى في حديثٍ عام مثل هذا — لا دخل لها، فأنا هنا أخدم، وهذا شيءٌ حسن، ولكن زوجتي محفوظةٌ جيدًا، أقصد مُصانة في بيتها، وواجبي ألا يلوك الناس في سيرتها سواءً بالخير أو بالشر.

بياتريتشي: إذَن فأنتَ بالفعل غيورٌ جدًّا وتتضايق بمجرد ذكرها؟ يا للهول!

تشامبا: لا يا سيدتي! إنني أسير على مبدأ: الزوجات مثل السردين والأنشوجة، لتحافظ عليها توضع تحت الزيت وتحت الماء المملَّح والزوجات تحت المفتاح؛ وها هو المفتاح (ويُخرج المفتاح من جيبه ويريه إياهم).

فيفي: مبدأ جميل، ولكن ليس بالنسبة لأختي!

تشامبا (واضعًا يده على صدره)**:** لكلٍّ منَّا مبادئه يا عزيزي السيد فيفي!

بياتريتشي (لفيفي)**:** وكأنه بإغلاق باب المنزل، يجب أن تقول له، لا تُبقِ هناك نافذةً مفتوحة!

تشامبا: حسنًا يا سيدتي. ولكن على الزوج إغلاق الباب.

بياتريتشي: آه، لم يخطر على بالي أنك بشعٌ بهذه الطريقة!

تشامبا: بشع؟ أنا؟ ولكن لا، لماذا؟ إذا وضعت الشروط واضحةً في البداية بيننا ... هذه هي النافذة، (ولكن الباب سأغلقه). تطلعي منها، ولكن حذارِ أن يجيء أحد ويقول

لي «تشامبا، زوجتك تكاد تخلع عنقها من التطلع من النافذة!» وأعتقد أنه لا يوجد شيءٌ بشعٌ في هذا.

فالرجل يضع في حساباته أن زوجته بحاجة لأن تتنسم الهواء في النافذة، والمرأة تضع في حساباتها أن على الزوج أن يغلق الباب. وكفى. ما هي أوامركِ يا سيدتي؟

بياتريتشي: آه فيفي … أعتقد أنني … لديَّ ما أقوله لتشامبا.

فيفي: ولماذا تريدين مني أن أنصرف إذا كنت تريدين فقط أن تقولي له …؟

بياتريتشي: وهل يجب أن أقول له هذا أمامك؟!

فيفي: ولِمَ لا؟! آه هيًّا يا حلوة … تكلمي بحرِّية، لقد أعطيتُك بالفعل ما كان عليَّ …

بياتريتشي: آه فعلًا … كفى، اسمع يا تشامبا، أنا بحاجةٍ إليك، فأنتَ إنسان أهل للثقة، وكأنك فرد من العائلة.

تشامبا: نعم يا سيدتي، لإخلاصي.

بياتريتشي: لإخلاصك، ولكل شيء.

تشامبا: سيدتي لتنتبهي أنني إنسان ذكي وأفهم جيدًا، أتعرفين ذلك؟

بياتريتشي: ماذا تقصد؟!

تشامبا: لا شيء … يبدو لي أن فمك … لا أعلم … وكأنكِ قد أكلتِ عسلًا هذا الصباح.

بياتريتشي: عسلًا! أنا أكلتُ عسلًا هذا الصباح، معذرةً أنا لا أقول لك هذا، بل …

تشامبا: آه يا إلهي، أنا لا أقصد الكلمات يا سيدتي! فأنا لستُ طفلًا! سيادتك تريدين قول شيء آخر وراء تلك الكلمات، شيء لا تقوله الكلمات.

بياتريتشي: ولكن أين؟ ومتى؟ إذا كنت أنتَ تخاف شيئًا …

تشامبا: إنني أحتكم إليكَ يا سيد فيفي. ما معنى أنني مثل «فرد في **العائلة**»؟ وأجيبها: «نعم يا سيدتي، لإخلاصي»، عندئذٍ تركلني هي بقولها «لإخلاصك ولكل شيء!» ما معنى «كل شيء» هذه؟ ما معنى أننا جميعًا سادةٌ دون تمييز، وذلك يتضمن أيضًا زوجتي؟! هل أنا مَن يخاف من شيء أو أنها تريد أن تشير إليَّ بشيءٍ ما، لا أعلم، أشعر وكأنها تسنُّ أسنانها ضدي؟

فيفي: ضدك أنت؟ بل ضدنا جميعًا! هناك أمرٌ خطير.

بياتريتشي: هل من الممكن أن تفهما ما قلتُه، أم إنني لن أتمكن من الحديث بعد الآن؟!

تشامبا: ليس هذا هو الأمر يا سيدتي، هل تريدين أن أشرح لك أنا كيف هو الأمر؟ فلقد جذبتُ الحبل.

بياتريتشى: الحبل؟ أيُّ حبل؟

تشامبا: الحبل الحضاري يا سيدتي، يجب أن تعرفي أن لدينا جميعًا ثلاثة حبال مثل حبال الساعة موجودة في رءوسنا.

(وبيده اليمنى مغلقةً وكأنه مُمسكٌ بين السبابة والإبهام بحبل، يتظاهر بأنه يشدُّ حبل الجهة اليمنى ثم في الوسط على جبهته ثم في الجهة اليسرى) إنها الحبال الثلاثة؛ الجاد، المتحضر، والمجنون. ونظرًا لأننا نعيش في مجتمع أكثر ما يلزمنا هو الحبل المتحضر فهو يوجد هنا في المنتصف فوق جباهنا، يمكننا جميعًا أن نأكل بعضنا بعضًا، يا سيدتي، أحدنا الآخر، وكأننا كلاب سعرانة. هل آكُل نفسي؟ لا أستطيع! هل آكُل السيد فيفي؟ لا يمكن ذلك! ماذا أفعل إذَن؟ أشدُّ الجبل المتحضر وأسير للأمام بابتسامةٍ مصطنعة، وأمدُّ يدي: «آه، كم أسعدتني رؤيتك يا سيد فيفي العزيز!» هل تفهمينني يا سيدتي؟ ولكن تأتي لحظاتٌ يفيض فيها الكيل، عندئذٍ ... عندئذٍ أحاول، أحاول أن أملأ الحبل الجاد لأوضح الأمور لنفسي وأضعها في نصابها، أوضح أسبابي، وأقدِّم ما لديَّ دون لفٍّ أو دوران، وعندما لا أنجح في أيِّ طريقةٍ عندئذٍ يا سيدتي أُمسك بالحبل المجنون وأفقد النظر ولا أعرف ماذا أفعل!

فيفي: رائع! رائع يا تشامبا!

تشامبا: في هذه اللحظة، يا سيدتي، سامحيني، لقد درتُ حول نفسك كثيرًا، لأشياء تخصُّكِ (لا أريد أن أعرف عنها شيئًا)، وربما أردت بذلك الحبل الجاد، أمَّا الحبل المجنون، والذي تسبَّب لك في نوع من التذمُّر، أوقعك في شباكه الكثيفة! إلا أنك تريدين التحدث معي من خلال الحبل المتحضر، ولكن ماذا ينتج عن ذلك؟ ينتج عن ذلك أن كلماتك تخرج مُعوجَّة. هل أنا واضح؟ استمعي إليَّ، أغلقي الموضوع، وأبعدي على الفور السيد فيفي من هنا ... (ويقترب منه.)

سيد فيفي أرجوكَ أنا أيضًا أن تذهب من هنا.

بياتريتشى: ولكن لا، لماذا؟ اتركه لحاله.

فيفي: هل تريدان أن تحرماني من متعة المكوث هنا لأستمع لحديثكما؟

تشامبا (متعمِّدًا)**:** لأنكِ أنتِ يا سيدتي، هنا — اسمحي لي — وعلى الناحية اليمنى، يجب أن تديري الحبل الجادَّ لتتحدثي معي وجهًا لوجه وبجديةٍ لمصلحتكِ ولمصلحتي!

بياتريتشى: لا أعتقد أنني أتحدث الآن بهزل، بالفعل أريد أن أتحدث معك بطريقةٍ جادَّة.

تشامبا: آه، حسنًا، ها أنا ذا، ولكن لتنتبهي يا سيدتي، اتركيني أقول هذا فقط؛ انتبهي فقط أن مَن لا يشدُّ في الوقت المناسب الحبل الجاد، يمكنه أن يجد نفسه بعد ذلك يشد، أو يتسبب في شدِّ الحبل المجنون لدى الآخرين؛ إنني أُحذِّرك!

فيفي: يبدو لي أنكَ أنتَ الذي بدأت، يا عزيزي تشامبا، التحدث بطريقة مُعوجَّة.

بياتريتشي: يبدو لي ذلك منذ برهة ... لا أفهم ...

تشامبا: أطلب المعذرة. (وباندفاعٍ مفاجئ) سيد فيفي كانت جبهة أبي كلها مشقوقة.

فيفي: وما دخلنا بأبيك الآن؟!

تشامبا: عندما كان أبي طفلًا غبيًّا، كان بدلًا من أن يحمي جبهته عن السقوط كان يحمي يديه، فعندما كان يتعثر، كان يُبعد يديه على الفور للوراء، وبالتالي كان يشقُّ جبهته. أمَّا أنا، يا عزيزي فيفي، يداي للأمام، أضعها أمامي لأنني أريد أن أحافظ على جبهتي سليمةً، حُرةً، فارغة.

فيفي: اعذرني، وإذا كنتَ لا تعرف بعدُ السببَ الذي استدعتك أختي لأجله فلماذا تضع يدك أمامك؟

تشامبا: سأترك الحبل الجادَّ وأشدُّ المتحضِّر.

(ينحني) أوامر سيادتك.

بياتريتشي: يجب أن ترحل هذا المساء إلى باليرمو.

تشامبا (مأخوذًا من المفاجأة)**:** إلى باليرمو؟ ولكن كيف؟ إذا كان السيد سيَحضُر غدًا.

بياتريتشي: هل سيكون السيد بحاجةٍ شديدةٍ إليك غدًا في المكتب؟!

تشامبا: وكيف لا؟ اسمحي لي! وما فائدتي إذَن في المكتب؟ لماذا عيَّنني؟!

بياتريتشي: أعرف أنه يجعلك قائمًا على حراسة الخزانة، ولذلك أيضًا يجعلك تسكن في الغرفة المجاورة.

تشامبا: فقط لهذا السبب؟! هل تريدين سيادتك إهانتي؟ إنني أكتب يا سيدتي.

فيفي: ألا ترين أنه يضع أيضًا القلم وراء أذنه.

تشامبا: بالفعل يا سيدتي وراء أذني، إنه علامة، ألا يضع صاحب المطعم زجاجة النبيذ مُعلقةً في مدخل مطعمه؟ أمَّا أنا فأضع القلم لأنني كاتب.

فيفي: كاتب وصحفي.

تشامبا: دع موضوع صحفي جانبًا! فهو عملٌ إضافي، أُمارسه ليلًا.

إنني أكتب أعمال سيدي؛ إنني المسئول عن الدفاتر، يا سيدتي، وأُشرف على الأعمال، أو ربما سيادتكِ تعتقدين أننا نمزح هناك في المكتب؟ أم إنني أجلس هناك الكومبارس؟ أو ربما استمعت إلى زوجك وهو يهزأ بي؟!

بياتريتشي: مَن؟ زوجي؟ منك أنت؟ ماذا تقول؟ يا لَشقاء مَن يتحدث عنك بسوء!

تشامبا: سيادتك تريدين أن ترسليني هذا المساء إلى باليرمو؟

فيفي: ولِمَ لا؟ لا أرى أيَّ ضررٍ في هذا.

بياتريتشي: وإذا قلت لزوجي إنني أنا التي أرسلتُك؟! أليس مسموحًا لي أن أرسلك في مهمَّة؟!

تشامبا: مهمَّة؟ ولكنكِ يمكنكِ دائمًا أن تأمريني يا سيدتي! إنكِ سيدة المنزل! وبالنسبة لي، يا عزيزي السيد فيفي، الذهاب إلى باليرمو فرصةٌ لاستنشاق بعض الهواء في مدينة كبيرة، إنها الحياة الحقيقية!

أشعر أنني هنا على وشك الاختناق يا سيدتي! لم يعُد هنا هواءٌ أتنفسه. بمجرد أن أسير في طرقات مدينةٍ كبيرةٍ يبدو لي على الفور أنني أسير فوق الأرض؛ أشعر بأنني في الفردوس! تتفتح الأفكار في ذهني ويسير الدم في عروقي! آه لو كنتُ قد وُلدت هناك، أو في إحدى المدن الكبرى في القارة، مَن يدري ماذا كنتُ سأصبح!

فيفي: ربما أستاذًا ... أو مفوَّضًا أو ربما وزيرًا.

تشامبا: وملكًا أيضًا! دعنا من المبالغة. إننا مجرد دُمى يا سيدي العزيز فيفي! إن الروح المقدس يدخل فينا ويحوِّل نفسه إلى دُمية. أنا دمية، وأنتِ دمية، وكلنا دُمى.

كان يجب أن نكتفي، بحقِّ السماء، بأننا وُلدنا دُمًى كإرادة الله. لا يا سيدتي! كلٌّ منَّا بعد ذلك يصبح دُميةً بطريقته؛ تلك الدُّمية التي يمكن أن يكونها أو التي يعتقد أنها هو بالفعل. عندئذٍ تبدأ المُشاحنات! لأن كل دُمية، يا سيدتي، تريد أن تحصل على احترامها، ليس لما تؤمن به في قرارة نفسها، بل للجزء الذي يجب أن تمثله في الظاهر، بوضوح، لا أحد سعيد بدوره! وكلٌّ منَّا إذا هو وضع نفسه في مواجهة دميته، ربما يبصق على وجهها، ولكنَّ الآخرين لا. يجب أن تنال الدُّمية كل الاحترام من الآخرين. على سبيل المثال: أنتِ هنا ... يا سيدتي، زوجة، أليس كذلك؟

بياتريتشي: زوجة فعلًا! على الأقل ...

تشامبا: واضحٌ من الطريقة التي تقولين بها هذا أنكِ لستِ سعيدة بذلك.

إلَّا أن ذلك لا يمنع، أنك كزوجة، تريدين أن تحصلي على كل الاحترام الواجب، أليس هذا حقيقيًّا؟

بياتريتشي: بالطبع أريده؟ هذا ما يَنقصُني! بالطبع أُطالب به، والويل لَمَن لا يمنحه لي!

تشامبا: هل رأيت؟! هذا هو الموضوع! كلٌّ منا على هذا الحال! ربما كنتِ تستطيعين مع الفارس فيوريكا، رئيسي المحترم، إذا كنتِ تعرفينه فقط على أساس أنه صديق طيب، أن تعيشا سويًّا في سلامٍ يشبه سلام الملائكة. إن الحرب بينكما هي الحرب بين الدُّمى؛ دُمي الزوج ودمية الزوجة، في داخل المنزل يمكنكما أن تتشاجرا، أن يمزق كلٌّ منكما شعر الآخر، يضع كلٌّ منكما ذراعَ الآخر، تجذبين أنتِ الحبل المتحضر، يجذب هو حبله المتحضر. ويجذب كلُّ الناس أيضًا حبالهم المتحضرة، منهم مَن يعبُر الطريق، ومنهم مَن يبتعد من هنا، ومن هناك، تملأ الابتسامات وجوههم احترامات وتبجيلات، ويتمتع بتلك الدمى، تنتصر كبرياؤنا وتملؤنا بالرضا!

فيفي (ضاحكًا): ولكنْ هل تعرف أنك مُسلٍّ فعلًا يا تشامبا العزيز!

تشامبا: ولكنْ إذا كانت هذه هي حقيقة الحياة يا سيد فيفي! إنها المحافظة على احترام الناس يا سيدتي! يجب على كلٍّ منَّا أن يرفع دُميته عاليًا — مهما كانت حقيقتها — ليقدِّم لها كل الآخرين الاحترامات الواجبة! لا أدري إذا كنتُ قد استطعتُ أن أكون واضحًا. ولنعُد إلينا يا سيدتي، ماذا يجب عليَّ أن أفعل في باليرمو؟!

بياتريتشي (متأثرةً وشاردةً مُستغرقةً في التفكير): إلى باليرمو؟!

فيفي (وهو يفيقها): أوه، بياتريتشي!

بياتريتشي: آه فعلًا … سأخبرك؛ بدا لي أنني رأيت فانا تدخل من هناك.

تشامبا: ربما غيَّرت سيدتي رأيها.

بياتريتشي: لم أغير أيَّ شيء! (إلى فيفي) أين وضعت النقود؟

فيفي: هناك، على ما أعتقد، فوق، على تلك المائدة الصغيرة.

بياتريتشي: آه، ها هي هناك، هذه يا تشامبا ثلاثمائة وخمسون ليرة (تعطيها له).

تشامبا: وماذا تريدين أن أفعل بها؟

بياتريتشي: انتظر، سأذهب لأُحضر لك مائةً وخمسين أخرى من هناك، وبوليصتين.

تشامبا (وهو ينظر لفيفي بقسوة): من عند مكتب الرهونات.

فيفي: بالضبط. ولماذا تنظر إليَّ؟

تشامبا: أنا؟ أبدًا، تحت أمرك.

بياتريتشي: إن الأمر يتعلق باستعادة بعض الأشياء؛ زوجَي أقراط، وأسورة في علبتين. سأذهب لأحضر لك البوليصتين (تتجه إلى الباب الجانبي الأيمن).

فيفي: نظرًا لأن أختي قد رهنتهما لتصنع لي معروفًا، في خُفيةٍ عن زوجها ...

تشامبا: ولكن بحقِّ السماء يا سيد فيفي، أنا خادمك ...

فيفي: لا، لا توجد صعوبةٌ في أن أقول ذلك، لقد أعدت بالفعل النقود إلى أختي، وتريد أختي أن تكون هذه الأشياء في المنزل غدًا.

تشامبا: غدًا بالتحديد؟! وأيُّ عذرٍ ستجده لتقول لرئيسي إنها أرسلتني إلى باليرمو عشيَّةَ وصوله؟!

فيفي: آه، بهذا الصدد، لن تحار سيدةٌ في إيجاد عُذر!

تشامبا: ولكن سامحني، إن رئيسي غائب منذ أيام. ألم يكُن في استطاعتها إرسالي قبل ذلك، دون أن يعرف هو أيَّ شيء؟

فيفي: في الحقيقة، لقد أحضرتُ لها النقود الآن.

تشامبا: سيد فيفي ... هناك شيءٌ ما لا يُطمئنني في كل هذا! أعتقد أن في رأس أختك يوجد شيءٌ آخر.

فيفي: نعم، في الحقيقة، يبدو لي ذلك أنا أيضًا ... ولكنْ ماذا تريد أن يكون برأسها؟ بالتأكيد القصة المعتادة! الغيرة.

تشامبا: وتريد إرسالي أنا إلى باليرمو؟

(تدخل بياتريتشى، وجهها مقلوبًا تمامًا وكأنها خاضت مناقشةً عنيفةً هناك.)

بياتريتشى: آه ها أنا ذا ... ها قد عدت.

فيفي: أوه، ولكنْ ماذا حدث لك؟

بياتريتشى (مُسيطرةً على نفسها)**:** ماذا حدث لي؟

فيفي: لا أعرف ... أراكِ ... هكذا ...

بياتريتشى (تحاول السيطرة على نفسها)**:** لا شيء. لم أكُن أجد البوليصتين، وهذا سبَّب لي الاضطراب.

(مقدِّمةً البوليصتين إلى تشامبا) ها هي، وهذه هي المائة والخمسون ليرة.

تشامبا: اتفقنا. ولكن ماذا ستقولين سيادتك غدًا لرئيسي إذا لم يجدني في مكاني. هل فكرتِ في هذا يا سيدتي؟

بياتريتشى: لقد فكرتُ في كل شيء!

(وتُريه في يدها الأخرى رزمةً أخرى من الأموال.)

انظر؟ هذه هي نقود رحلتك، بالإضافة إليها مائةٌ وخمسون ليرة.

فيفي: كل هذه الأموال ... إنك ...

تشامبا: هذا هو كل شيءٍ يا عزيزي السيد فيفي. بالضبط! عندما تكون كل هذه الأوراق من فئة المائة موجودة.

بياتريتشي: حسنًا؟ ماذا تريد أن تقول؟ هل هناك أيُّ ملحوظات؟

(إلى الأخ) إنها نقودي كنت أدخرها.

(إلى تشامبا) عندما تكون كل هذه الأوراق فئة المائة موجودة ... هيَّا ... أكمل ...

تشامبا: لا شيء يا سيدتي. كنت أريد فقط أن أقول أن سيادتك يمكن أن تستمتعي بأن تحركي خيوط دميةٍ وأن تجعليها تسير إلى باليرمو.

بياتريتشي: أنا لا أرسلك لأستمتع؛ أنت تعرف جيدًا لماذا أُرسلك!

ثم بعد ذلك، وبتلك النقود في باليرمو(وهذا شيء سأستمتع به فعلًا)، أريدك أن تشتري لي عِقدًا يا تشامبا، عِقدًا جميلًا هل تعرف شكله؟ بقلادة.

تشامبا (متعجبًا): أنا؟ عِقدًا؟!

بياتريتشي: بقلادة! سأقول لزوجي إنني رأيته في عنق صديقةٍ لي معيَّنةٍ وإنه أعجبني كثيرًا! نزواتٌ زوجي يعرفها جيدًا عني!

تشامبا: ولكن أنا يا سيدتي، سامحيني، ماذا أعرف عن شراء ...؟

بياتريتشي: لا يُهم. إذا حدث هذا ستقول لي عند عودتك إنك لم تستطع العثور عليه.

تشامبا: إذَن تفضلي، لماذا تعطينني تلك النقود؟

بياتريتشي: لأنكَ بالفعل ستُسدي لي خدمةً إذا استطعت شراءه! أريده يشبهه تمامًا وأن تشتريه أنتَ يا عزيزي تشامبا!

تشامبا: لماذا مني أنا؟ ماذا تريدين مني اليوم يا سيدتي؟ يشبهه تمامًا؟ يشبه ماذا؟ وإذا كنت لا أعرف عمَّ تتكلمين؟!

بياتريتشي: سأقول لك؛ اذهب إلى ميركوريو، بائع المجوهرات لعائلتنا، أعرف أن عِقد صديقتي هذه لا بدَّ من شرائه من هناك. اذهب إلي هناك وستجد العِقد لديه. اذهب على الفور، هيَّا!

تشامبا: سيدتي، إنني ما زلتُ أشعر قليلًا بالدُّوار. قليلًا؟ لا بل كثيرًا!

فيفي: يبدو لي أنها وجدت عذرًا جيدًا!

بياتريتشي: أفضل من هذا؟ لم يكُن في إمكاني إعداد مفاجأةٍ أفضل من هذه لزوجي! عندما سيراني غدًا وأنا أضع ذلك العِقد فوق صدري ...

تذكَّرْ أن هناك قطارًا يرحل الآن في الساعة السادسة.

فيفي (وهو ينظر للساعة): مازال هناك ساعةٌ من الزمن.

تشامبا: بالنسبة لي لستُ في حاجةٍ سوى لدقيقتين. سأذهب لأغلق المكتب! أغلق أولًا العارضة ثم أغلق بالسلسلة والأقفال باب منزلي وأرحل. أريد أن تكون تلك الساعة من وقتي لسيدتي.

بياتريتشى: لي أنا؟

تشامبا: إذا كانت سيدتي تريد أن تعيد التفكير وأن تتأمل في ...

بياتريتشى: لا، لا أريد شيئًا، وفيمَ تريدني أن أفكر؟

تشامبا: سيدتي، أُذكِّر سيادتك بحالة أبي الذي كان يُبعد يديه ...

بياتريتشى: مرةً أخرى.

تشامبا: سأذهب الآن. أقبِّل يديك!

(وبمجرد أن يصل للباب يعود إلى الوراء) سيدتي هل تريدين أن أُحضر لكِ زوجتي إلى هنا؟

بياتريتشى: زوجتك! هنا!

(تقهقه ضاحكة) لا ينقصني سوى هذا؟ سيكون شيئًا مضحكًا.

تشامبا (بجدية): ليطمئن قلبي يا سيدتي.

بياتريتشى: ولكن ماذا تقول: لتذهب! هل جُنِنت؟ وماذا تريدني أن أفعل هنا بزوجتك؟

تشامبا: لا شيء بالتأكيد؛ سيدة مثلك ... ولكن أنا أقول: ليطمئن قلبي.

بياتريتشى: ولكن إذا كنت تغلق عليها بالمفتاح حسب عادتك، وتضع أيضًا العارضة.

تشامبا: والسلسلة يا سيدتي. وسأحضر المفاتيح هنا لك!

بياتريتشى: ولكنْ لا! لا حاجة لذلك. يمكنكَ أن تأخذ معكَ المفاتيح!

تشامبا: آه لا يا سيدتي، إذا كنتِ لا تريدين زوجتي هنا على الأقل فخُذي المفاتيح. أنا مُصِر!

بياتريتشى: حسنًا، أَحضرْها ولكنْ لا تضيِّع المزيد من الوقت.

تشامبا: لنذهبْ يا سيد فيفي.

(ويتحرك وأمام الباب يعود ويستدير) هل قُلتِ بقلادة؟

بياتريتشى: أوف! نعم بقلادة.

تشامبا: أُقبِّل يد سيدتي.

(ويرحل مع فيفي لا بيللا.)

المشهد الخامس

(بياتريتشى والمفوَّض سبانو)

بياتريتشى (وهي تتطلع بقلق إلى الباب الأيمن)**:** تفضَّلْ أيها المفوَّض، ادخلْ هنا. آه أخيرًا!

سبانو (في حوالي الأربعين من عمره، نمط غريب للمفوَّض الريفي، ذو مظهرٍ بُطولي، مُلتحٍ ويغطيه الشَّعر؛ ومن حينٍ لآخر ينكمش وهو يتكلم)**:** صعقت يا سيدتي، هذا ما حدث تمامًا، وكأن هناك برقًا، ولكن من تلك الأنواع القوية، أتعرفينها؟ المدمِّرة، وكأنه وقع هنا، أمام قدمي تمامًا؛ والعياذ بالله.

بياتريتشى: حسنًا حسنًا. ولكنْ لا يوجد وقتٌ للتحدث. الآن أيها السيد المفوض يجب أن نركز على الفور فيما يجب عمله. هل تتخيل؟ هل تصدِّق؟ كان يريد أن يحضر زوجته إلى هنا!

سبانو: هنا؟ هو؟ زوجته؟

بياتريتشى: هل هناك دليلٌ أفضل من هذا؟ لا يمكن الوصول إلى أكثر من ذلك.

سبانو: أرجوكِ، اهدئي يا سيدتي، اهدئي!

بياتريتشى: كيف تريد مني أن أهدأ؟! أريد أن ألقِّنه درسًا أمام البلدة كلها، درسًا لن ينساه أبدًا!

سبانو: نعم، ولكن ... و... العواقب يا سيدتي! هل درستِ سيدتي كل العواقب؟!

بياتريتشى: ماذا؟ إنه لا بدَّ وأن ننفصل، أهذا ما تقصده؟! أنا على أتمِّ استعدادٍ لذلك، ولكنْ ليس بهذه السهولة ... آه، أبدًا! أريد أن أفضحه فضيحةً كبيرة! يجب أن تعرف كل البلدة حقيقة الفارس فيوريكا الذي يحترمونه جميعًا! أنا أريد أن أشكوه لك، إن سيادتك موظفٌ رسمي، ولا يمكن أن ترفض ما أطلبه.

سبانو: حسنًا ... سيدتي، بالتأكيد ... إذا أعددتِ سيدتي لي الشكوى.

بياتريتشى: أُعدُّها لك فورًا، قُل لي كيف وسأُعدُّها لك.

سبانو: آه … هو كذلك، لا! معذرة! لا يمكن هذا، هل تريدين أن أقول لك أنا كيف تفعلين ذلك؟

بياتريتشي (بدأت تتدلَّل بنبرة غاضبة)**:** ألا تريد أن تساعدني؟ أيها السيد المفوَّض، ألا تريد أن تساعدني؟!

سبانو: وكيف لا يا سيدتي؟ أريد أن أساعد سيادتك … ولكنْ لتضعي في اعتبارك أيضًا أنني صديقٌ للعائلة.

بياتريتشي: لكن يجب أن تخدم العدالة!

سبانو: أجل يا سيدتي، وأنا مُجبَر ألَّا أنظر في وجه أحدٍ وأسير هكذا يا سيدتي، ورأسي مرفوع دائمًا، حتى أمام الله!

ولكن يا سيدتي لأجل التقدير والتبجيل الذي أحمله لذكرى والدك الغالية، والذي كان أبًا حقيقيًّا لي يا سيدتي … ويشهدُ عليَّ الله، كم أَحبَّني يا سيدتي! وكم من الأشياء علَّمني.

اسمعي يا سيدتي! أريد أن أخبرك أن هناك أشياء صغيرة … خطايا … صغائر عابرة …

بياتريتشي: عابرة؟ آه أنتَ تسمِّيها عابرة …

سبانو: ويمكن أن نطلق عليها أيضًا نزوات إذا أردت … أنا أحدِّثكِ كصديق!

بياتريتشي: كصديقه هو؟!

سبانو: لا! صديقكِ أنتِ يا سيدتي؟ وصديقه هو أيضًا!

بياتريتشي: وتقول نزوات؟ ولكنها جميلة، جميلة تلك النزوات! أهذا هو عدلُك؟ أهكذا تقف بجوار سيدةٍ مسكينة وضعيفة لا يمكنها أن تحمي نفسها؟ وحدها؟ أريد أن أقدِّم شكوى، هل فهمت؟ حالًا، حالًا، كيف أفعل ذلك؟

سبانو: آه يا إلهي! ولكن لعمل الشكوى لا يلزم أيُّ شيء … التنفيذ يا سيدتي! هل تعتقدين أنه شيءٌ سهل؟ إن التنفيذ غاية في الحساسية والصعوبة … يجب أولًا أن نتأكد — دون أن يرانا أحد — من شكل المكان، وندرس طبيعته … آه ما رأيك؟ أدلة … براهين …

بياتريتشي: كل شيء مُجرَّب وكل شيء مدروس؟ لسنا بحاجة لشيء سيدي المفوَّض، هل سيادتك تعرف الغجرية؟

سبانو: نعم، أعرفها جيدًا يا سيدتي، تحدثت معها بالفعل! إنني على درايةٍ بكل شيء.

لدينا مخرجان يا سيدتي؛ الأول من جهة مكتب الفارس، والآخر من الناحية المقابلة، حيث يصل الحجرتين المتصلتين بالمكتب مسكن تشامبا. إذَن هناك باب من الوسط، نعم

أم لا؟ بين المكتب وبين حجرتَي تشامبا؟ يوجد بابٌ أليس كذلك؟ ويمكن لتشامبا أن يغلقه من هنا، من جانبٍ بالعارضة والسلسلة! وبالتالي إذا ذهبت سيادتك ومعك الحرس في الوقت نفسه لتقتحمي المكان من الجهتين، ماذا يحدُث؟ ما يحدث أنهما لن يفتحا حتى وإن جاءت الآلهة، إلا عندما يغلقا الباب المتصل بين المكانين، وبالتالي سنجدهما؛ هو في ناحية وهي في الناحية الأخرى!

بياتريتشي: إذَن ... إذَن ألا يُوجد حل؟

سبانو: لا يُوجد حل؟! ولكن هنا يظهر إبداع الإنسان في إيجاد الحلول يا سيدتي! إذا كان لدى سيادتك — مثلًا — مفتاح المكتب.

بياتريتشي: لديَّ! لديَّ المفتاح! يجب أن يحضره لي تشامبا الآن، وقبل أن يرحل فأنا أنتظره.

سبانو (متعجبًا)**:** تشامبا؟! كيف تشامبا سيحضر لك المفتاح؟

بياتريتشي: نعم، ودون أن أطلبه منه أيضًا! يريد أن يُحضره لي، بالقوة، وبأيِّ ثمن! بل إنني لم أكُن أرغب في ذلك.

سبانو: لا أفهم! لا ... لا أفهم أيَّ شيء ... إذَن ... فسيادتكِ يمكن أن تكوني أكثر ثقةً في أن تشامبا ليس لديه أيُّ شك ... شيءٌ إيجابي، أتعرفين ذلك!

بياتريتشي: ولكن ماذا تقول؟ ولماذا إذَن أراد أن يُحضر لي زوجته إلى هنا؟

سبانو: لماذا ... لماذا ... بحقِّ السماء، لأنهم في البلدة يا سيدتي، لأنه معروف هنا للجميع.

بياتريتشي: إنني غيورة، أليس كذلك؟ وبهذه الذريعة، أيْ لأنني غيورة، استطاع هو أن يفعل ما يحلو له. ولكنني سأُثبت الآن للناس أنني غيورة بسببٍ أو بدون أسباب! أنتَ تقول لن تكون هناك صعوباتٌ إذا كان لدينا المفتاح، حقًّا؟ ستفتح المكتب قبل أن يسمح له الوقت بأن يغلق الباب المشترك و...

سبانو (بابتسامة تعاطف)**:** أفتح؟ أفتح ماذا؟ آه، أفتح!

هل يبدو لك الفارس شخصًا غبيًّا ليدخل إلى المرأة، وأن يتخذ احتياطه فقط بأن يغلق باب المكتب؟ لا بدَّ وأنه سيضع أيضًا العارضة! وكيف سأستطيع أن أفتح الباب إذَن؟ كيف أفتحه؟! يجب في هذه الحالة أن أعلن تهديداتي وأمسك بالباب، وأثناء ذلك سيكون لدى الفارس الوقت الكافي ليغلق الباب المشترك ويضع عليه المتراس والسلاسل والقُفل. لا، لا يتمُّ الأمر بهذه الطريقة يا سيدتي. سيكون أمرًا سهلًا إذَن أن يعمل المرء كمفوَّض!

بياتريتشى: آه يا إلهي! وكيف يتمُّ الأمر إذَن؟

سبانو: كيف يتم … كيف نفعل ذلك … سيصل الفارس في العاشرة؟! حسنًا! يجب أن يكون هناك شخصٌ بالداخل مختبئًا في ذلك المخزن الصغير حيث يضع الفارس نُسخ الخطابات قبل مجيئه بنصف ساعة؛ في التاسعة والنصف تمامًا … وهكذا يُقبض عليه متلبِّسًا!

بياتريتشى (مبتهجة)**:** آه! بارع! هيَّا أَمْلِ عليَّ ما يجب كتابته في الشكوى … هيَّا … بسرعة!

(يُسمع صوت الجرس.)

سبانو: يبدو أن أحدًا بالباب.

بياتريتشى: نعم، لا بدَّ وأنه تشامبا وقد أحضر المفتاح! فلتختبئ، اختبئ هناك لحظة (تشير إليه بالباب الأيمن).

سبانو: في الجناح، هل فهمت؟!

(ويسرع نحو الباب الأيمن.)

المشهد السادس

(تشامبا، وزوجته نينا، وبياتريتشى)

تشامبا (خلف ستارة الباب، في مؤخرة الحجرة، ممسكًا بحقيبة صغيرة في يده)**:** أتسمحين لي؟

بياتريتشى: تفضَّل، تفضَّل يا تشامبا.

(وبحركة اندهاشٍ وغضب، وهي ترى زوجته تدخل معه.)

ما هذا الذي أرى؟!

تشامبا: سيدتي، لقد أحضرت لك زوجتي؟

بياتريتشى (غاضبة)**:** خذها معك وعُد بها حالًا دون أن تضيع لحظةً واحدة!

تشامبا: اتركيني أشرح لك يا سيدتي.

بياتريتشى: لا أريد أن أسمع أيَّ شيء! هيا! اخرجا فورًا! لا أريد حتى أن أنظر إليها!

تشامبا: سيدتي، زوجتي نظيفة، ومتواضعة.

بياتريتشى: لا بدَّ وأنها غاية في النظافة! أتوقع هذا! وقمة التواضع! ولكنني لا أعرف ما دخلي في كل هذا!

(وهي توجِّه حديثها للزوجة مباشرةً.)

إنني أتعجب منك، أنتِ التي تعلمين أنه لا شيء لديك هنا لتعمليه جئتِ خلف زوجك!

نينا (في حوالي الثلاثين، تبدو متأنقةً جدًّا بعيدةً كل البعد عن التواضع، وترتدي وكأنها سيدة، بعناية شديدة وبنظافة، حذاءً أنيقًا، شالًا من الحرير، قُرطًا، خواتم. وقالت وعيناها تنظران لأسفل، ولكن بصوت واضح:)**:** سيدتي، وإذا كان زوجي قد أمرني بذلك …

تشامبا: (سعيدًا) رائع!

بياتريتشى: كان من الممكن أن توفِّري على نفسك تلك الطاعة الزائدة لأنني قُلت لزوجك إن إحضارك لي هنا ممنوعٌ منعًا باتًّا!

نينا (تجيب وعيناها تنظران لأسفل ولكن بصوت واضح)**:** ولكنني لم أكُن أعرف ذلك يا سيدتي.

تشامبا: رائع!

بياتريتشى: لقد أعددتما المسرحية جيدًا سويًّا، أليس كذلك؟

تشامبا: لا يا سيدتي؛ في الحقيقية — بهدوء وبتواضع — كما ينبغي لقد فعلت الواجب عليَّ بأن أحضرها لك، ألا تريدين هذا؟

بياتريتشى: قلت لك لا أعرف ماذا أفعل بها!

تشامبا: يمكن أن تضعيها أيضًا في المطبخ، أوفي مخزن الفحم، بل يمكنك أن تجعليها تنام تحت الأفران مع القطة.

بياتريتشى: أنت اليوم تريد أن تُفقدني صبري، أليس كذلك؟ وأن تجعلني أقول ما لا أريد، أو ما لا يجب قوله!

تشامبا: ولكنْ بلى، فلتتحدثي، قولي، قولي يا سيدتي! ليتكِ تقولين!

بياتريتشى: أقول لكَ امشِ من هنا، ويكفي هذا!

تشامبا: حسنًا، إذَن أنتِ لا تريدينها، اتفقنا! لقد أحضرتُها إليكِ وأنتِ لا تريدينها، اتفقنا، إذَن إليك المفاتيح؛ أنا سأرحل، وتذكَّري يا سيدتي أنها الآن بين يديكِ (يسلمها المفاتيح، ثم يتقدم إلى زوجته، ويتظاهر بأنه يشدُّ حبالها كما يفعل لدمية) نينا، انتظري، ها هو الحبل المتحضر؛ احترامات، عيناك إلى أسفل وإلى البيت مباشرةً!

نينا (وهي تنحني)**:** خادمتك!

تشامبا: رائع!

(يتحرك خلف زوجته متجهًا للباب، ويستدير ويقول لبياتريتشى، وهو يقوم بإيماءاتٍ وكأنه يجذب الحبل الجادَّ على الجانب الأيمن) إذا كانت سيدتي تريد أن تفتح ...

بياتريتشى: لن أفتح أيَّ شيء!

تشامبا: لنترك كل شيء مغلقًا في طيِّ الكتمان!

الفصل الثاني

المشهد الأول

(بياتريتشى، وفانا)

بياتريتشى (منكوشة الشعر، في أوج غضبها، وبالقرب من الباب الأيسر، تصرخ تجاه الداخل وهي تنادي فانا)**:** لا يُهم! الآن، خذيها وأحضريها إلى هنا، لا يُهمُّني كيف، أريد أن أكون في الخارج قبل المساء! بعيدًا عن هذا المنزل الملعون (يُسمع صوت دق جرس الباب).

فانا (وهي تخرج من الباب الأيسر، محملةً بالبياضات)**:** آه يا عذراء! مَن يكون يا تُرى؟!

بياتريتشى: اذهبي لتفتحي، وإذا كان المفوَّض أدخليه، وقولي له أن يتحلَّى بالصبر للحظات، لا يمكنني أن أخرج له هكذا!

(وتتجه للباب الأيمن، تذهب فانا وهي تحمل جبل البياضات بين يديها، تذهب لتفتح باب المنزل وهي تنهج، وبعد قليلٍ نسمع صرخةً من الداخل، تدخل إلى المشهد آسونتا لا بيللا، يتبعها فيفي لا بيللا والذي يمسك بذراع فانا يهزُّها بغضب. الأمُّ والابن لاهثان ومضطربان.)

المشهد الثاني

(السيدة آسونتا، وفيفي لا بيللا، وفانا، ثم بياتريتشى)

آسونتا (وهي تُهرع في ارتباكٍ في البداية نحو الباب الأيمن ثم نحو الأيسر صارخة)**:** بياتريتشى! بياتريتشى! أين هي؟ أين هي؟ بياتريتشى! (وهي تدخل من الباب الأيسر وهي لا تزال تنادي.)

فانا (وهي تدافع عن نفسها أمام فيفي الذي يحاصرها)**:** ولكن لماذا أنت غاضبٌ مني يا سيدي؟

فيفي (مُمسكًا فانا من يدها وهو يهزُّها بغضب)**:** لأنه كان واجبك أن تأتي لي وتخبريني!

آسونتا (وهي تدخل من جديد من الباب الأيسر)**:** ولكن أين هي ابنتي؟ قولي أين هي! بياتريتشى! بياتريتشى!

بياتريتشى (تُهرع نحو الصراخ القادم وتظهر من المدخل الأيمن وهي تُلقي بنفسها بين ذراعي والدتها)**:** أمي! أمي! (وتنفجر في البكاء.)

آسونتا: ابنتي! ابنتي! ماذا فعلتِ؟ لقد دمَّرتِ نفسك!

فانا (وهي تدافع عن نفسها ضدَّ فيفي الذي يمسك بها)**:** ولكنْ إذا كانت هي التي أرادت أن تقوم بكل شيء بنفسها دون أن تستمع لأحد! قلت لها هذا مرَّاتٍ عديدة، يا لي من مسكينة، تكلَّمي أنتِ يا سيدتي أرجوكِ! قلتُ لها: «اذهبي لأخيكِ فهو رجل! اطلبي النصيحة أولًا من والدتك!»

آسونتا: ولا تقولي شيئًا، ولا لي أنا أيضًا! تُلقين بنفسك بالتهلكة هكذا دون أن تتحدثي مع أحدٍ عمَّا يحدث!

فيفي (وهو يمسك أخته من أحد ذراعيها نازعًا إياها من حضن والدتها)**:** أريد أن أعرف لماذا تبكين الآن؟! أتعرفين أنكِ قلبتِ حال البلدة كلها؟

آسونتا: لقد قبضوا عليه يا ابنتي! لقد ألقَوا القبض عليه!

فانا: سيدي؟ يا عذراء!

آسونتا: وهي أيضًا!

فانا: وزوجة تشامبا أيضًا؟!

بياتريتشى: كلاهما؟ يا لها من متعة! آه، إنني سعيدة! هذا هو ما أردتُ بالضبط!

آسونتا: ولكن ماذا تقولين يا ابنتي؟

فيفي: الفضيحة! العار!

بياتريتشى: نعم، نعم، الفضيحة، العار الذي أصابه!

فيفي: وأصابكِ أنتِ أيضًا يا مجنونة! ماذا تعتقدين أنك ربحتِ بهذا الجنون الذي ارتكبتِه؟

بياتريتشى: ماذا؟ ربحتُ هذا ... انظر (وتنفَّست الصُّعداء) آه! إنني الآن أستطيع التنفس ... هكذا! وإنني أعطيتُه درسًا يستحقُّه! فأنا حُرة، حُرة!

فيفي: حُرة! أنتِ مجنونة! ماذا تعني بحُرة؟ حُرة بأن تأتي الآن إلى منزلي دون أن تتمكني من أن تُخرجي وجهك من الباب! أتقولين حُرة ولكن بلا وضعٍ اجتماعي؟

بياتريتشى: لا يُهمُّني شيء سوى ألَّا أراه مرةً ثانيةً أمامي! كنتُ أُعِد نفسي لأن أذهب! بل بدأتُ أُعِد نفسي من مساء أمس.

فيفي: ولكنني أمس في المساء كنت هنا! قولي لي شيئًا؟ هل كنتِ تلك المرأة التي تتحدثين معها مدبِّرةً كل شيء؟!

فانا: نعم، نعم، تمامًا، هي، هي يا سيدي.

آسونتا: مَن هي؟

فانا: الغجرية يا سيدتي!

آسونتا: يا إلهي! وكيف يا ابنتي تتحدثين مع امرأةٍ كهذه؟ وأنتَ يا فيفي ألم يساورك الشك؟!

فيفي: هل كان يمكنني تخيُّل هذا؟!

فانا: أرسلاني لأستدعي المفوَّض سبانو.

فيفي: سبانو؟

آسونتا: سبانو؟ ولكن كيف؟

فيفي: هل قُلت المفوَّض سبانو؟

آسونتا (لبياتريتشى): سبانو؛ الشخص الذي صنعه أبوك، هل استطاع عمل ذلك؟ دون أن يُثنيك عن عزمك؟

فيفي: لِمَ أنتِ طيبة القلب يا أمي؟ أليست هذه فرصة بأن يضع يده على أحدهم بينما يرفع قبعته بالتحية لكل أولئك (يتوقف وهو يسدُّ فمه متوجعًا) آه، كنتُ على وشك أن أقولها! الذين يساعدونه لأنْ يعيش في سلامٍ مع زوجته! هل فهمت؟!

آسونتا: آه، منذ متى وذلك العار يحيط بنساء بلدتنا؟

فانا: إنه أمر معروف بالفعل يا سيدتي منذ أعوام حرصه، وفمه دائمًا مغلق.

آسونتا: وأنا أيضًا عانيتُ الكثير من ذلك وأنتِ تعرفين يا فانا.

فانا: إنه زمنٌ مضى يا سيدتي، مضى.

آسونتا: كيف لم تفكري فيَّ يا ابنتي؟ إنني سيدة مُسنَّة.

أتظنين أنني يمكنني أن أتحمل صدماتٍ قويةً كهذه؟ سأموت غدًا بسبب ما حدث … بل أشعر الآن، آه، الله وحده يعلم بما أشعر …

فيفي: اهدئي يا أمي، ولا تغضبي، وإلا لا أعرف ما سأفعله بحقِّ السماء، هل أرادت أن تضعنا في تلك المصيبة تلك المجنونة؟ والآن لتمكث فيها وحدها!

آسونتا: حقًّا! وكأنها ليست ابنتي وليست أختك! ماذا تقول؟

فيفي: وهل تتذكر الآن أنها أختي؟ كنت معها بالأمس!

ماذا يمكننا أن نفعل لها الآن؟ لا نستطيع شيئًا سوى أن نأخذها معنا إلى المنزل لأنه من المؤكد أنها الآن لا تستطيع البقاء هنا مع زوجها.

بياتريتشى: ومَن يريد أن يبقى هنا؟ (يُسمع صوت الباب، يتوقف الجميع.)

آسونتا (مضطربة)**:** مَن يكون؟

بياتريتشى: أنا لستُ خائفةً من أحد.

فيفي (لفانا)**:** اذهبي لتفتحي الباب، أنا هنا.

فانا: تعالَ معي أرجوك يا سيدي؟ فأنا أرتجف.

فيفي (لأمه وأخته)**:** اذهبا من هنا الآن. (لفانا) وأنتِ، اذهبي لتفتحي بلا تصنع.

آسونتا: تعالي، تعالي معي يا ابنتي.

(وتتجه للباب الأيمن مع بياتريتشى.)

المشهد الثالث

(فيفي، وفانا، والمفوَّض سبانو، ثم آسونتا وبياتريتشى)

فيفي (يقف وحده بينما فانا تفتح الباب)**:** آه، هو أنت يا سيدي المفوَّض؟

سبانو (وهو يدخل)**:** في خدمتك دائمًا يا سيدي فيفي.

فيفي: آه، يا لها من خدمة جليلة تلك التي أسديتَها للعائلة، يجب أن تفتخر بما فعلت! بالفعل لا بدَّ أن نشكرك ونشعر بالامتنان نحوك!

سبانو: إنكَ تجرحني يا سيد فيفي!

فيفي: ولكن كيف؟ معذرة. أهذه هي الطريقة التي تتصرف بها كصديقٍ للعائلة، عائلة أنتَ تدين لها — بحقِّ السماء — بأفضالٍ كثيرة.

سبانو: لذلك أقول لك إنك تجرحني، تجرحني في أقدس ما لديَّ من مشاعر! أنني موظفٌ حكوميٌّ يا سيد فيفي.

فيفي: لكَ جزيل الشكر، أعرف ذلك جيدًا. أقول هذا للصديق: كيف أتيتَ هنا؟

سبانو: دعتني السيدة.

فيفي: حسنًا، وتلقيت الشكوى.

سبانو: أنا أتلقَّى؟ ماذا تقول؟ انتظر ... إنك تجرحني يا عزيزي فيفي ... لقد فعلت كل ما بوسعي ... والسيدة ... أين هي؟ أين هي؟ تستطيع أن تقوله لك؛ فعلتُ كل ما بوسعي يا سيدي فيفي لأقنع السيدة.

فيفي: كان يجب عليك أن تأتي إليَّ أولًا.

سبانو: بعد أن قدَّمت الشكوى بالفعل.

فيفي: تمامًا، لأجعلها تستردُّها.

سبانو: إذَن أقول لك إنك لا تعرف أختك جيدًا جدًّا! أُقسِم بالله لقد هدَّدتني بأنها ستأخذها بنفسها للحاكم، ستأخذ الشكوى هي وتبلغه أنني ... آه هي هي، ها هي قد وصلت (تدخل آسونتا، ومعها بياتريتشى من المدخل الأيمن، يُسرع سبانو ليقبِّل يد السيدة آسونتا التي تمتنع).

سيدتي المُبجَّلة ... دعيني، واسمحي لي أن أقبِّل يدك المُقدَّسة ... وأنتِ يا سيدة بياتريتشى، أرجوكِ قولي لأخيكِ ...

آسونتا (تقاطعه)**:** يبدو لي هذا بلا فائدة يا سيدي المفوَّض، بلا فائدة يا عزيزي فيفي أن نتعاتب.

بياتريتشى: ولكن السيد المفوَّض على حق.

سبانو (لفيفي)**:** هل تسمعها؟

مباركٌ الفم الذي ينطق بالحق، ولكنْ إذا كنت قد أخطأت، يا عزيزي السيد فيفي، ويا عزيزتي السيدة آسونتا ... والتي أبجِّلها، يعلم الله، كأمٍّ لي.

أتعلم؟ إنك الآن تدفعني على البكاء يا سيد فيفي ... نعم البكاء، لأن الخطأ الذي ارتكبته أنا ... ارتكبته من فرط الصداقة، لأن وضعي هنا، أن أتولى هذه المهمَّة (القذرة)، واعذريني يا سيدتي على هذا اللفظ، هنا في البلد نفسه الذي وُلدت فيه، هو أفظع شيء يمكن أن يحدث لإنسان، ولكن اعذروني، اعذروني، كان يمكنني أن أجد نفسي وجهًا لوجهٍ وأن أضع يدي أنا، على الفارس فيوريكا، أنا؟ عندئذٍ ماذا فعلت؟ وبسبب تقديري للصداقة ارتكبتُ أكبر حماقة، وبسبب هذه الحماقة يا سيدي فيفي عليكَ أن تلومني.

فيفي: ولكنْ إذا كنتُ لا أعرف بعدُ ماذا ارتكبت! ماذا فعلت؟ قُل لي، كيف حدث كل شيء؟ هل يمكن أن أعرف؟

سبانو: الذي حدث أن … نظرًا لأنني لم أستطع … لم أستطع أن أقوم أنا بذلك … بمهمَّةٍ كهذه … كلَّفتُ آخر … زميلي لوجاتو، وهو غريبٌ من كالابريا … وهل تعرف؟ هل رأيت ماذا فعل؟ ذلك الغبي الحمار.

فيفي: قبض على الاثنين معًا، على نسيبي وعلى المرأة.

بياتريتشي: لكنه على ما يبدو لي فعل واجبه، فعل تمامًا ما كان يجب عليه عمله.

آسونتا: اصمتي يا ابنتي! إنكِ لا تعرفين ماذا تقولين.

فيفي: إذَن فقد وجدهما معًا، هذا ما تقوله.

سبانو: حسنًا … معًا … وليسا معًا … لم يكُن هناك تلبُّس فعلي.

بل لا يمكن أن نقول إنه حدث … وهذا يُعَدُّ شيئًا عظيمًا بالفعل! بل إنني أعتقد نظرًا لمسار الأحداث، أنه يمكن إثبات عدم حدوث أيِّ شيء، أيِّ شيءٍ على الإطلاق!

فيفي: إذَن، لماذا قُبض عليهما؟

سبانو: لأنني لم أكُن هناك! لأن هذا الغبي من كالابريا كان هناك، هذا هو ذنبي، ولكن الفارس سيُطلق سراحه، يا سيد فيفي، سيتمُّ الإفراج عنه هذا المساء! أعِدُك وأُقسِم لك! إذا لم يحدث هذا فلن يكون اسمي بعد الآن ألفيو سبانو!

فيفي: اتفقنا، ولكنْ قُل لي إذَن، بحقِّ السماء، كيف كان الأمر؟

سبانو: آه، سأخبرك بما حدث، لوجاتو، وبواسطة المفتاح الذي أخذناه من السيدة بياتريتشي دخل إلى مكتب الفارس فيوريكا، ثم اختبأ في المخزن الملحق بالصالة. وبمجرد أن قام الحرَّاس بطَرق الباب الثاني، من مدخل تشامبا، ودعوهما لأن يفتحا الباب باسم القانون، فإن الفارس وبمجرد أن ذهبت المرأة لتفتح، بالطبع ماذا فعل؟ كان على وشك أن يدخل إلى صالة المكتب.

بياتريتشي (بصرخة منتصرة): آه حسنًا، هل رأيتم؟ إذَن كان هناك في مدخل تشامبا، كان قد فتح الباب المشترك.

سبانو (مؤيِّدًا): نعم يا سيدتي.

بياتريتشي: وكيف إذَن استطاع أن يفتحه إذا كان تشامبا قد أغلقه وأحضر لي المفتاح إلى هنا؟ هذا هو الدليل، الدليل على صحة كل شيء.

سبانو (وهو يتراجع): لا يا سيدتي ليس دليلًا، انتظري …

بياتريتشى: وكيف ذلك؟

سبانو: دعيني أشرح لك، إن الأقفال الإنجليزية يا سيدتي لها جميعًا مفتاحان.

بياتريتشى: مفتاحان، حسنًا جدًا؛ واحد في جيب تشامبا، والآخر في جيب زوجي.

سبانو: لا يا سيدتي، دعيني أخبرك، مكتوب في المحضر أن الفارس فيوريكا قال إنه عندما وصل إلى كاتانيا، كان يتوقع أن يجد تشامبا في مكانه — ذلك الرجل النبيل — ونظرًا لأنه كان في عجلةٍ لأن يرى المراسلات التي وصلت أثناء غيابه — وهي كلماته في المحضر — يقول إنه: طرَقَ على الباب ليسأل زوجة تشامبا، كما يقول، عن طريقة يغسل بها يديه على الأقل.

بياتريتشى (بضحكة صارخة): يديه ... آه ... فعلًا يديه! طبعًا!

سبانو: يديه! النبيل المسكين، كان عليه أن يفتح الخطابات.

فيفي: لا تُصغِ إليها، أكمل ...

سبانو: عندئذٍ قامت هي — كما يقول — زوجة تشامبا، بإعطائه المفتاح الآخر — كما يقول — من أسفل الباب.

بياتريتشى: آه، يا لَلمصادفة! من أسفل الباب، يا لها من قصة!

سبانو (وهو يعقب): إن ما تم إثباته في الواقع يا سيدتي، أن المسافة أسفل الباب تسمح بمرور المفتاح. ولقد كان الفارس مشمِّرًا قميصه وغاية في الاحترام!

بياتريتشى: فعلًا، وهي كيف كانت؟ كيف كانت؟!

سبانو: حسنًا ... كانت ... كانت ...

بياتريتشى: قُل لي كل شيء مكتوب في المحضر.

سبانو: إذَن أستطيع أن أقول إنها لم تكُن ترتدي حتى القميص.

بياتريتشى: عارية! كانت عارية!

سبانو: لا! بمَ تفكرين يا سيدتي؟! أقصد كانت ترتدي شيئًا أكثر من القميص، كانت ترتدي الملابس الداخلية والقميص — مثل كل النساء — أقصد نساء الطبقات الدُّنيا طبعًا، في هذا الموسم ومع ارتفاع درجة الحرارة، حتى إنني — يعلم الله — أغرق في عرقي الآن.

كانت ترتدي أكثر من القميص، فلتهدئي يا سيدتي، كان قميصًا عاريًا إلى حدٍّ ما ... ذراعاها عاريتين ... قمصان السيدات، كما تعلمين ...

بياتريتشى: آه فعلًا! يكفي أنهم لم يعثروا عليهما عاريين!

آسونتا: ولكن بياتريتشى كيف يمكنكِ التحدث هكذا؟ لم أعُد أعرفك يا ابنتي!

فيفي: فلتخجلي من نفسكِ؛ أنتِ أمام رجل (ويشير إلى المفوَّض).

بياتريتشي: ولكنْ أيُّ رجل؟!

آسونتا: وهل هذه أشياء تُقال؟

بياتريتشي: فلنخبئها إذَن، فلنخبئها، فعلًا، فلنُصلحها.

فلنضع عليها الملابس التنكرية إذَن، تلك الفضائح نخجل من أن نقولها، ولا نخجل من أن نرتكبها.

فيفي: لا أفهم يا سيدي المفوَّض، ولماذا إذَن قُبض عليهما معًا، إذا كان المحضر سلبيًّا؟

سبانو: إذَن ... بالنسبة للمرأة فقد قبضوا عليها بسبب العُري المبالغ فيه، تفهمني طبعًا. أمَّا الفارس، لأنه ... تخيل قليلًا ... بمجرد أن شعر بهم وهم يضعون يدهم عليه، استشاط الرجل المحترم غضبًا، غضبًا كالجحيم. إذا كنتُ أنا هناك لكنت عذرته، حتى وإن أوسعني صفعًا كنت سأَقبَل صفعاته باسم الصداقة. ولكن ذلك الأحمق من كالابريا، وضع في رأسه أنه قد اعتدى بذلك على العدالة، وهكذا قُبض عليه.

ولكنْ سيُطلق سراحه يا سيد فيفي، أَعِدُك وأُقسِم لك، سيخرج هذه الليلة، وإذا لم يلتزم لوجاتو الصمت، سأتعامل أنا معه!

فيفي: بالفعل ... هذا ما أقصده ... إذَن لم يكُن هناك شيء.

سبانو: لا شيء! لقد فتشنا كل شيء، حتى حقيقة ملابسه ... حتى السُّترة التي كان الفارس قد خلعها.

بياتريتشي: آه، حتى السُّترة! حتى حقيبة السفر! قُل لي إذَن! ألم يجدوا صدفةً عِقدًا ما بقلادة؟ الذي قد وعد أن يُحضره لها هديةً من باليرمو.

فيفي: آه، هذا إذَن العِقد الذي كلَّفت تشامبا بشراء واحدٍ مماثلٍ له؟

بياتريتشي: تمامًا!

(إلى سبانو) أجبني! هل وجدوه؟

سبانو: معذرةً يا سيدتي، مَن تحدَّث معكِ عن هذا العِقد؟ الغجرية؟

فانا: نعم يا سيدي، هي بعينها.

سبانو: وإذا كنتُ أعرف أيضًا ذلك، لقد حدثتني عنه، إنه شيءٌ غاية في الحماقة يا سيدتي! حماقة وُلدت من أن زوجة تشامبا، وأثناء مشاجرتها، كما تفعل دائمًا النساء في الجوار، واللاتي يسخرن منها بسبب كل الخواتم التي ترتديها في أصابعها، تفاخرت قائلةً

إنه في أحد هذه الأيام، وذلك لتُميتهم غيظًا، ستظهر أمامهم من النافذة، وكأنها سيدة عظيمة ترتدي عِقدًا كبيرًا، عِقدًا بقلادة فوق صدرها. هذا هو كل ما في الأمر، أتعرفين يا سيدتي، أتعرفين ماذا وجدنا بالفعل في حقيبة السيد الفارس؟ كتاب تلاوة القدَّاس، صغير جدًّا … هكذا، رائع! بتجليد من العاج وصفحات مُذهبة.

آسونتا: أرأيت يا ابني؟ لك أنت.

سبانو: بل انتظري، كانت هناك علبةٌ من اللوز المحشو.

آسونتا: ذلك الذي يُعجبك!

فانا: ولكنني كنت أقولها دائمًا إنه يعاملها كملكة.

فيفي: أيتها الحيوانة، ناكرة الجميل!

(تُلقي بياتريتشى بنفسها وهي تبكي، نادمةً ومتأثرة، على صدر أمِّها.)

سبانو (سعيد بالتأثر الذي حصل عليه، يعضد الكلام مشيرًا برأسه، لم يقترب من فيفي، ويقول له): ولكن للحرص يا سيدي فيفي، لأنه نظرًا، كما أرجو، لأنني سأطلق سراح الفارس هذه الليلة نفسها، سيكون من الأفضل ألَّا يجد السيدة في المنزل عندما يعود.

آسونتا: آه! بالتأكيد، بالتأكيد.

فيفي: سنأخذها معنا إلى المنزل.

سبانو: على الأقل لبضعة أيام، يجب أن نتحمله ونعذره فلقد أصابه الجنون — المسكين — ويهدِّد بأن يرتكب أشياء لا يصدِّقها عقل.

فيفي: معك حق، معك حق، أنا لا أعرف، لا يمكنني أن أفعل إذا كنتُ مكانه.

سبانو: ولكن لا بدَّ وأن الأمر سينتهي يومًا ما، تأكد من ذلك، سيتبخر الغضب خلال بضعة أيام، وكلٌّ سيعود كما كان — آه، اللهم لا حسد — يا له من منزل جميل يا سيدتي، يحيط به السلام المقدَّس.

(وقفة طويلة، وكأن كل شيء قد انتهى، ولم يعُد هناك أيُّ شيء يُقال أو أن يُنفذ. وفجأةً يكسر هذا الصمت النهائي دقات جرس عنيفة على الباب.)

فانا (وهي تقفز بفزع): آه يا إلهي، ساعدنا، إنه هو تشامبا.

فيفي: آه، حقًّا إننا لم نفكر فيه مطلقًا.

سبانو: يا إلهي فعلًا، يوجد هو أيضًا وزوجته المقبوض عليها …

آسونتا: وماذا سنفعل الآن؟ كيف يمكن أن نُصلح الموقف لهذا المسكين؟
سبانو: ربما سيكون من الأفضل ألَّا نفتح له.
فيفي: لا، من الأفضل أن نُدخله، بل من الأفضل أن نحاول توضيح الأمور بالعقل، هنا، بيني وبينه.
سبانو: فعلًا ... ولكن احترس ... احترس لأنه سيرتكب أفعالًا جنونية.
فيفي: ليفعل ما يريد ... المُهم أنه في النهاية ...
فانا: أشعر أن كل عروقي ترتعش.
بياتريتشى (بخضوع)**:** سيكون من الأفضل أن أنسحب من هنا مع أمي، أليس كذلك؟
فيفي (وهو يصرخ وينظر إليها بغضب)**:** يبدو لي هذا أفضل! أعتقد ذلك.
آسونتا: لنذهب، لنذهب يا ابنتي، لنتركهم ليتحدثوا كرجالٍ بمفردهم (وتذهب مع بياتريتشى ويدخلان من الباب الأيمن.)
فيفي (لفانا، وهي تبتعد مرتعشةً مع السيدتين)**:** إلى أين أنتِ ذاهبة؟ اذهبي لتفتحي الباب.
سبانو: لا تخافي شيئًا، فأنا هنا.

(وتتجه فانا لباب الخروج.)

المشهد الرابع

(تشامبا، وسبانو، وفيفي، وفانا)

فانا (تدخل على الفور مهرولةً)**:** يا عذراء إنه كالميت، لقد دخل وسقط على المقعد.
فيفي وسبانو: كيف؟ ماذا حدث؟

(يجريان ليريا، يدخل تشامبا من الباب الرئيسي كالجثة، وثيابه ووجهه مُتربان؛ الجبهة مجروحة، قميصه مفكوك، ورباط العنق أيضًا، نظارته في يده. وعلى الفور يدور فيفي وسبانو حوله متعجلَين ومذعورَين وينفضان التراب من على بذلته بيديهم.)

فيفي: ولكن كيف؟ مَن فعل بكَ هذا يا تشامبا العزيز؟
تشامبا (ببطء وبحدَّة)**:** لا شيء، تعثرت، لقد تكسرت عويناتي.

فيفي (وهو يجري نحو أحد المقاعد، بينما يجري المفوَّض نحو مقعدٍ آخر، وفانا نحو مقعدٍ ثالث)**:** هيَّا اجلس ... اجلس هنا ...

سبانو: هنا يوجد مقعد.

تشامبا: شكرًا، لن أجلس.

فيفي: كيف؟ لماذا لا؟

تشامبا: لأنه لا.

سبانو: وإذا كانت قدماكِ لا تقويان على حملك.

تشامبا: لا تخف، فأنا بسبع أرواح مثل القطط. الآن سأستعيد نفسي، ولكن، على كل حال ... سأرحل فورًا، أين السيدة؟

سبانو: إن السيدة يا تشامبا هناك.

فيفي: تستطيع أن تفهم أنها في هذه اللحظة لن تستطيع التحدث معك.

تشامبا: التحدث! وما الحاجة إلى الكلام بعد ما حدث؟

فيفي: ولكن، ما حدث، يا تشامبا العزيز، ليس كما تتخيله.

سبانو: المحضر سلبي، سلبي تمامًا.

فيفي: إليك، هل سمعت؟ يقولها لك السيد المفوَّض نفسه. أؤكد لك؛ ليس لديك حقٌّ في أن تقف هكذا.

تشامبا: أنت تؤكد لي ذلك.

سبانو: ولكن لا، الأفعال، الأفعال، المحضر، هل فهمت يا عزيزي تشامبا؟ هذا ما جاء في المحضر.

تشامبا: هل هذا ما جاء في المحضر؟

فيفي: ولكن بالتأكيد إذا كان الأمر لا أساس له على الإطلاق ...

سبانو: وذلك بإثباتٍ قانوني.

فيفي: يجب أن تعترف بذلك.

تشامبا: ليس لديَّ مشكلة، أريد أن أسلم بعض الأشياء للهانم.

فيفي: الأشياء التي أحضرتها من باليرمو يمكنك أن تسلمها لي أنا إذا أردت.

تشامبا: ليس لديَّ مشكلة، ولكن يبدو لي أن الأصحَّ والأفضل أن أسلِّم الأشياء للسيد المفوَّض طالما هو هنا!

فيفي: بالتأكيد، له ... لي ...

(إلى سبانو) إنها بعض الأشياء التي استلمها تشامبا من محلِّ الرهونات.
سبانو: حسنًا، حسنًا …
فيفي (إلى تشامبا)**:** ويمكنك أيضًا تركها هناك …

(يشير بنوع من التعالي للمائدة الصغيرة بجوار الأريكة.)

تشامبا: هل سيادتك تعطي أهميةً كبيرةً لمصداقية محضرٍ ما؟
فيفي: ولكنْ … وما دَخلُ ذلك؟ إن المحضر هو إثبات حالةٍ ما، كما شرح لك المفوَّض.
سبانو: تمامًا قانوني.
تشامبا: حسنًا أريد يكون هذا أيضًا إثباتًا قانونيًّا؛ إنني سلَّمتُ للسيد المفوَّض هذه الأشياء، لأن الهانم هذه التي أرسلتني.
سبانو: ولكن بالتأكيد، أعرف ذلك، يا عزيزي تشامبا.
تشامبا: أعرف! (مبتعدًا بما يحمله) سيادتك يجب أن تستنتج واقع أنني، كخادمٍ متواضع، ذهبتُ وعُدت، منفِّذًا المهمَّة وسلمتُ هناك، كما أسلِّم الآن لسيادتكم، هذين الشيئين.
(ويُخرج من جيبه العُلبتين) واحد، اثنان. لا أريد شيئًا آخر (ويهُمُّ بالرحيل).
فيفي: وماذا تفعل الآن؟
تشامبا: لا شيء، سأرحل.
فيفي: سترحل هكذا؟
تشامبا: وماذا تريدني أن أفعل هنا أيضًا؟ كنتُ أريد التحدث مع الهانم ولكن لا يمكن، إذَن سأرحل.
فيفي: ولكن ماذا تريد أن تقول — اعذرني — للهانم؟

(فانا، من الخلف، تشير بالنفي أكثر من مرةٍ لفيفي ويدها تحت ذقنها.)

تشامبا (وهو يلتفت فجأةً ويفاجئها وهي تومئ، ويقلدها)**:** ماذا بك، هل يؤلمك حلقك مثلًا؟! صعوبات في التنفس ليكون في علمك، أنا أنظر إلى الأرض ولكن في نفس اللحظة أستطيع أن أعدَّ النجوم، حتى دون عويناتي. (مقتربًا من فيفي) ربما تكون سيادتك تشعر بالخوف، إذا قمت بالتحدث مع أخت سيادتك.
فيفي (وهو يقاطعه)**:** ولكن لا، خوف! إنها أختي التي لا تستطيع في هذه اللحظة، قلت لك، لا تستطيع لأنني أنا والسيد المفوَّض وأمي التي هي أيضًا معها، بالداخل أثبتنا

لها وجعلناها تلمس بيديها مدى الجنون الذي ارتكبته وصدِّقني، يا تشامبا العزيز، إنها نادمة، بل تشعر بالندم الشديد، أليس كذلك؟

سبانو: طبعًا، إنها تبكي.

تشامبا: آه، تبكي.

فيفي: أجل تبكي، أيضًا لأننا قلنا لها ما تستحقُّه وأكثر، ويمكن للمفوَّض أن يشهد بذلك.

سبانو: هذا ما حدث بالفعل؛ شيءٌ بشع.

فيفي: أؤكد لك يا تشامبا، إنك لن تستطيع أن تقول لها أكثر مما قلته أنا.

تشامبا: وماذا تتخيل إذَن ما أريد أن أقوله لسيدة؟ إن أخت سيادتك، لم تفعل شيئًا، سوى أنها أخذت اسمي، دُميتي، هل تتذكر أنني بالأمس تحدثتُ عن الدُّمى؟ لقد أخذت دُميتي؛ وألقت بها أرضًا، ثم ركلتها بقدميها ... هكذا (ثم ألقى بقبعته أرضًا وأخذ يسحقها بقدمه) لأن السيدة — الدمية المسكينة — اعتقدت أن أحدًا ما يسحقها ... فوضعُها — وضعي ووضعُها — في النهاية متشابهان؛ أنا هنا وهي هناك، ماذا تريدني أن أقول لها؟ أريد فقط أن أسألها سؤالًا واحدًا، وليس للسيدة نفسها ولكن لضميرها.

فيفي: أيُّ سؤال؟

تشامبا: اعذرني، إذا كنت أقول لضميرها (وبقفزةٍ مفاجئةٍ يتقدم للمفوَّض).

سبانو: سيدي المفوَّض، اقبض عليَّ.

فيفي (وهو يجذبه للخلف)**:** ولكنْ لا، ما هذا الذي تقوله؟

سبانو: نحن نعرف جيدًا أنك رجل شريف يا تشامبا.

تشامبا: على كلٍّ سيادتك هنا، ويُسعدني، يُسعدني أنك أيضًا هنا يا سيدي المفوَّض، لأنك هكذا يمكنك أن ترى القلب ... قلب رجلٍ يبكي، يبكي دمًا ... دمًا حقيقيًّا لأنه تمَّ اغتيالي ... ثم ينفجر في تشنجات وبكاء مفاجئ ومستمر.

فيفي وسبانو: ولكنْ لا ... لكنْ لا ... ماذا تقول؟ وإذا لم يكُن هنا فلا داعي لكل هذا، اهدأ ... يا تشامبا.

تشامبا: فعلًا، اهدأ ... إذَن هل تريد أن أوجه ذلك السؤال الوحيد إلى السيدة أم لا؟

فيفي: بالطبع، سأذهب لأستدعيها (ينادي وهو ينظر للمدخل الأيمن).

بياتريتشى أمي تعالي يا بياتريتشى.

المشهد الخامس

(بياتريتشى، وآسونتا، والسابقون، ثم في النهاية الجيران والجارات)

فيفي (لبياتريتشى التي تدخل مع أمِّها): اسمعي، تشامبا هنا يريد أن يوجِّه إليك سؤالًا ما.

آسونتا (بتعاطف): آه أيها المسكين، هل أُصبت؟

تشامبا: هذا ليس شيئًا يا سيدتي. السبب هي عويناتي التي تكسَّرت، فأصبحتُ أرى ولا أرى، ولكنْ على كلِّ حالٍ لم يعُد لديَّ شيء الآن لأراه. (إلى بياتريتشى) إن السؤال الوحيد الذي أريد أن أوجِّهه إليك يا سيدتي؛ هل تعتقدين سيادتك — ولنترك ما حدث هذا الصباح جانبًا، لنترك كل شيء — هل تعتقدين، في ضميرك، أنه كان معك حقٌّ في أن تفعلي ذلك، على الرغم من أنني بالأمس، وفي وجود أخيك …

آسونتا (وهي تحاول أن تقاطعه): بالطبع، نحن نعلم كل شيء يا تشامبا.

فيفي: إنكَ حتى أحضرتَ زوجتكَ إلى هنا.

تشامبا: اسمحا لي … اسمحا لي … اتركاها تتحدث لأنه ربما كانت السيدة، بالرغم من كل شيء أرادت أن تطعنني أنا أيضًا، معتقدةً لها الحق فيما تفعله. أهو كذلك يا سيدتي؟ أجيبي بضميرك.

بياتريتشى (بتردد): لا … لا … أنا … تجاهك.

سبانو: لم تكُن السيدة تريد أن تطعنك أنت يا تشامبا العزيز، ولهذا السبب أرادت إبعادك وأرسلتك إلى باليرمو.

بياتريتشى: بالفعل … تمامًا … كما يقول المفوَّض …

تشامبا: آه، لا يا سيدتي! ليس من الممكن ألَّا تكوني قد فكرتِ فيَّ! لأنني بالأمس ولمدة ساعتين، هنا، لم أفعل سوى أنني مددتُ إليك يدي.

بياتريتشى: نعم، نعم، ولهذا السبب أردتُ أن أرسلك إلى باليرمو لكي تكون بريئًا، وألَّا يكون هنا سوى زوجي وزوجتك.

تشامبا: دون أن تفكري فيَّ؟

بياتريتشى: دون أن أفكر فيك.

تشامبا: وماذا كنتُ أنا؟ لا شيء، حجر شحذٍ تُلقين به في الأرض؛ تمسكين هكذا بين أصابعك، وكأنني ممسحة، وتقذفين بي في المهملات. تمامًا كأنه لا يوجد أيُّ أهمية لوجودي

... ولكنني أريد أن أعترف لك بكل شيء يا سيدتي؛ أريد أن أدخل إلى ضميرك، إلى أعماق أعماقه، وأتأكد أن سيادتك لم تتآمري لتضربيني أنا أيضًا، لأنني أنا — في نظرك — كنتُ أعرف كل شيء، والتزمت الصمت، أليس كذلك؟ أجيبيني، أليس كذلك؟

بياتريتشي: حسنًا ... نظرًا لأنكَ قُلت هذا بنفسك ... تمامًا ... هو كذلك تمامًا.

تشامبا: آه، إذَن، إذَن، كان هناك أحدٌ أحوَل مثلًا، فسيادتك تعلِّقين على كتفيه لافتةً تكتبين عليها: أيها الناس إنه أحوَل؟!

بياتريتشي: ولكنْ لا ... وما دخل ذلك؟

تشامبا: لنترك (الأحوَل) التي يمكن أن يدرك الجميع حقيقتها دون الحاجة إلى لافتة. سيادتك يجب أن تُثبتي لي أن هناك شخصًا، شخصًا واحدًا فقط، يا سيدتي، في كل هذه البلدة يمكنه أن يشكَّ فيَّ ويعتقد ما اعتقدتِه! شخصًا واحدًا، واحدًا فقط يستطيع أن يمثل أمامي ويقول لي في وجهي: تشامبا، إنك «تيس» وأنت تعلم هذا.

فيفي (على الفور)**:** ولكنْ لا مَن هذا؟ لا أحد.

سبانو (معه في الوقت نفسه)**:** ولكنْ مَن يمكنه التفكير في هذا.

آسونتا (في الوقت نفسه)**:** ولكنْ ما هذا الذي تقوله يا تشامبا؟

فانا (في الوقت نفسه)**:** بالتأكيد لا أحد لديه ضمير.

تشامبا (وهو يسيطر على الانفعالات الفورية)**:** ولكن السيدة يمكنها أن تقول: إذا لم يكُن الأمر معروفًا لدى الآخرين فيكفي أنه معروفٌ لديكم، حقيقي! هل هذا حقيقي؟! لا يجب أن تنكريه، أنا بحاجةٍ إلى ضميرك يا سيدتي، ليس إلى المحضر، قولي لي، هل هذا حقيقي؟!

بياتريتشي: نعم حقيقي (حركة مفاجئة مؤلمة، وانكسار ضمني لدى الآخرين، صمت).

تشامبا (مُحرجًا، يهزُّ رأسه)**:** آه يا سيدتي، والآن حان دوري لأتحدث ... ليس عن نفسي ولكن بصورةٍ عامة ... وماذا يمكنك أن تعرفي يا سيدتي؟! لماذا يرتكب شخصٌ ما أكثر من مرةٍ السرقة؟ لماذا يقتل شخص ما؟ لماذا يقوم شخصٌ، أحيانًا كثيرة، ولنفترض أنه قبيح ومُسنٌّ وفقير، وفي سبيل حُبِّ امرأة والتي تعذب قلبه من حبِّها والذي بالرغم من ذلك لا يقول لها آي؟! إذ إنها تطفئ هذا الألم على الفور بقُبلة في فمه، ولذلك يدمِّر هذا العجوزُ نفسه بأن يشرب حتى الثمالة، ماذا يمكن أن تعرفي، أنتِ يا سيدتي، مدى الألم الذي يصيبه في جسده كله، وبأيِّ نوعٍ من الإهانة يمكن أن يخضع هذا العجوزُ إلى حدٍّ أنه

يتقاسم حُبَّه لتلك المرأة مع شخصٍ آخر غني، شاب، ووسيم، وخاصةً إذا كانت تلك المرأة تمنحه الرضا دائمًا بأنه السيد في كل شيء وأن الأشياء تتمُّ بطريقةٍ لا يمكن أن يعرف عنها أحدٌ أيَّ شيء؟ أتحدث بصورة عامة، فلننتبه جميعًا بأنني لا أتحدث عن نفسي! إنه مثل جرح يا سيدتي، جرح مخجل وخفي. وأنتِ، ماذا تفعلين بذلك؟ تمدِّين يدك وتكشفينه هكذا … أمام الجميع؟ فلنترك هذا الحديث ونعود لموضوعنا! أنا يا سيدتي كنت أعرف أن لديك الشكوك في زوجتي وزوجك. غيرة! ومَن لا يتملكه هذا الشعور نحو مَن يحبُّه؟ إنني أيضًا أتعاطف مع الجرائم يا سيدتي؛ فكيف لا أتعاطف معك أنتِ لما تشعرين به من غيرةٍ؟ وحضرت إلى هنا بالأمس خصيصًى لأجعلك تتكلمين، تفرجين عمَّا تشعرين به. كان لديَّ شك؟ لم أكُن أريد أن أنزعه عنك! لأنني أعرف أنه كلما أردنا أن نزيل الشكوك كلما ثبتت لدينا أكثر، إذا كنتِ سيادتكِ تكلمتِ معي بجدية، لكنتِ ذهبتِ إلى منزلي، وقلتِ لزوجتي: هيَّا، أعدِّي ما يلزمك، ولنرحل! ولكنت أتيت اليوم إلى السيد الفارس وقلت له: «سيدي الفارس، أقبِّل يديك الكريمتين، لا أستطيع العمل فلديَّ أعمالٌ أخرى.» وهكذا كان يمكن أن يتمَّ كل شيء يا سيدتي، ولماذا إذَن تعتقدين أنني أحضرت زوجتي إلى هنا بالأمس؟! لأجعلك تتكلمين يا سيدتي، لأجعلكِ تطلقين من فمكِ كل العاصفة التي تخفينها بداخلك، لقد صرختُ وقلتُ لك «تحدثي تحدثي!» ولم ترغبي في أن تقولي أيَّ شيءٍ، أردتِ أن تُلقي بي هكذا على الأرض، أن تذبحيني … وماذا تريدين مني أن أفعل الآن إذَن؟! قولي لي أنتِ ماذا يجب عليَّ أن أفعل؟ هل أحتفظ بهذا الجرح؟ هل أشتري لنفسي قُبعةً بقرنين جميلين لأظهر بها في المدينة، وهذا يُجري خلفي الصبية وهم يسخرون ويصرخون: بااااء … بااااء … وأنا أسير بكل هدوءٍ مبتسمًا وأشكر الجميع على اليمين وعلى اليسار؟

فيفي: ولكن لماذا؟ أين؟ أيُّ جرح؟ أيُّ قُبعة؟ أيُّ صبية؟! لن يحدث أيُّ شيء!

سبانو: لم يحدث أيُّ شيءٍ في أيِّ شيء، لم يحدث أيُّ شيءٍ على الإطلاق.

تشامبا: لأن هذا ما يقوله المحضر، أليس كذلك؟ ولكن مَن تريده أن يصدِّق محضرك هذا بعد كل هذه الفضيحة؟ العساكر والمفوَّض واقتحام المنزل، وإلقاء القبض عليهما …

سبانو: حسنًا، ولكن كل هذا كانت نتيجته سلبية، إذن …

تشامبا: سيدي المفوَّض، إنها بُقع زيت، بُقعٌ لا يمكن أن تُمحى. سيقولون: آه، إن الأمر يتعلق بفارس، لقد قاموا بتسوية كل شيء، وكيف سيكون موقفي؟ كان يمكنك يا سيدتي أن تحصلي على هذه المتعة إذا اعتقدتِ أن زوجك يخونك مع أخرى، ولكن إذا لم يكُن لا أبٌ ولا إخوة. كان يمكنك أن تعطي درسًا إذا لم يكُن هناك رجالٌ آخرون متورطين

في هذه المشكلة، وكل شيء كان سينتهي بهدوء. ولكن في هذا الموقف يوجد رجلٌ متورطٌ يا سيدتي، كيف لم تفكري في موقفي؟ هل كنتُ لا شيء بالنسبة لكِ؟ لقد فرحتِ سيادتك، وحصلتِ على هذه المتعة، بل وأضحكتِ البلد كله، وغدًا تتصالحين مع زوجك ... بالنسبة لكِ سينتهي كل شيء، ولكن ماذا عني أنا؟! هل سيبقى لي المحضر أنه لم يحدث أيُّ شيء؟ ويجب عليَّ إذَن أن أتحمل أن يأتي الجميع ليقولوا لي وعيونهم حزينة: «لم يحدث أيُّ شيء يا تشامبا، لقد كانت السيدة تمزح.»

(وباندفاع مفاجئ) سيدي المفوَّض فلتتحسَّسْ مِعصَمي (ويمدُّ له يده).

سبانو (متعجبًا)**:** ماذا؟ لماذا؟

تشامبا: فلتتحسَّسْ مِعصَمي لترى إذا كان نبضي متزايدًا، فأنا أقول هنا، وبهدوءٍ شديد، ولتشهد سيادتك، ولتشهدوا جميعًا، أنني في هذه الليلة نفسها، أو غدًا، أو بمجرد أن تعود زوجتي إلى المنزل سأقطع رأسها بالفأس (وعلى الفور)، ولن أقتلها هي فقط، لأنني ربما هكذا أضيف متعةً أخرى للسيدة، ولكنني سأقتله هو أيضًا السيد الفارس، للأسف يا سادتي، يجب عليَّ ذلك.

فيفي وسبانو (يمسكان به، بينما السيدات الثلاث يصرخن ويبكين)**:** ما هذا؟ ما هذا الذي تقوله؟ هل جُنِنت؟ تقتل مَن؟!

تشامبا (شاحب الوجه، مرتبكًا، ويحاول أن يبتسم)**:** كليهما، يجب ذلك، لا يمكن ألَّا أفعل غير ذلك! لم أرغب أنا في ذلك!

فيفي: لن تقتل أحدًا، لأنه لا حقَّ لك في ذلك ولا يوجد سبب! وحتى وإن كان لديك سبب، سنمنعك نحن عن ذلك.

سبانو: وأنا هنا.

تشامبا: سيدي المفوَّض، ستمنعني عن هذا اليوم ...

سبانو: وغدًا أيضًا.

تشامبا: ولكنني بعد غدٍ سأقتلهما، أنت تعرف ماذا يُقال لدينا: تبًّا لمَن مات بقلب الآخر. أنا هادئٌ يا سيدي المفوَّض، وأنت تشهد أنني لم أرغب في ذلك، ولكنهم ألقَوا بي في هذه الحفرة، فبهذه الوصمة على وجهي كيف لي أن أواجه أهل البلدة؟ لن أعود بالنسبة لهم الكاتب المحترم.

بياتريتشي (تنتفض)**:** ولكن إذا كنتُ أقول لكَ أنا الآن، يا تشامبا، إنه لم يكُن هناك أيُّ سبب لذلك.

تشامبا: تقولين لي أنتِ الآن يا سيدتي؟ تعترفين الآن، بأنك لم يجب عليك أن تُلقي برجلٍ في هذا العار؟ الوقت متأخر جدًّا يا سيدتي.

فيفي: ولكنْ معذرةً، وإذا كانت هي بنفسها تعترف بذلك، بأنه لم يكُن هناك أيُّ شيء ...

تشامبا: هذا «اللاشيء» يا سيد فيفي، لا يجب أن تقوله هي لي أنا.

فيفي: ولكنْ إذا كانت تلك الفضيحة تسبَّب فيها نوعٌ من الجنون ...

آسونتا (وهي تهب)**:** بسبب الجنون يا تشامبا، الجنون!

سبانو (مؤكِّدًا)**:** بسبب الجنون، وتعترف لك بذلك السيدة بنفسها.

فيفي: وإذا كانت هي تقول هذا لك، ونؤكده نحن جميعًا ... كان مسًّا من الجنون!

الجميع: نعم كان مسًّا من الجنون.

تشامبا (وسط الجميع وهم يصرخون جنون! جنون! فجأةً، وهو غارقٌ في أفكاره، تتراقص فكرةٌ أمامه)**:** آه يا إلهي! آه ما أجمل هذا! ما أجمل هذا! آه أيها السادة، الهدوء، نعم، ما أجمل هذا أيها السادة ... يمكن إصلاح كل شيء ... بهدوء! ياه! أخيرًا! يمكنني أن أرقص الآن، أن أقفز، لقد نزعت همًّا ثقيلًا من فوق صدري! يداي ... يداي يمكن أن تظلا نظيفتين ... وسأقبِّلهما، سأقبِّلهما، شكرًا! أنت يا سيدتي، اذهبي لتُعدِّي نفسك، هيَّا، بسرعة.

بياتريتشي (مذهولةً، ومعها الآخرون جميعًا)**:** أنا، لماذا؟

تشامبا: استمعي لي! اذهبي لتُعدِّي نفسك. لا يجب أن تفقدي المزيد من الوقت! (وينظر إلى الساعة) تستطيعين ذلك! تستطيعين ذلك!

بياتريتشي: ولكن لماذا؟ ما الذي سأستطيعه؟

فيفي: ماذا تقول؟

سبانو: ماذا تريد من السيدة أن تفعل؟

تشامبا: أجل أجل! أنت يا فانا، ومعك السيدة آسونتا، اذهبا لتساعداها لتضع بعض الملابس. لنُسرع! أرجوكم! لا يوجد لدينا المزيد من الوقت.

بياتريتشي: لماذا إذَن؟ هل يجب أن أرحل؟ إلى أين سأذهب؟ هل أصابكَ مسٌّ من الجنون؟!

تشامبا: أنا؟ لا يا سيدتي! لقد أصابك أنتِ يا سيدتي الجنون! معذرةً، لقد اعترف بذلك أخوك فيفي، واعترف بذلك المفوَّض، وأمُّك والجميع، إذَن فأنتِ المجنونة! المجنونة التي ستذهب إلى مستشفى الأمراض العقلية! الأمر غاية في البساطة!

فيفي: ماذا؟ مَن؟

آسونتا: ابنتي؟! ماذا تقول؟

بياتريتشى: إلى المصحَّة العقلية؟ أنا، أنا سأذهب إلى المصحَّة؟

تشامبا: لا داعي لكلمة المصحَّة العقلية، ستذهبين لمنزل استشفاء، يا سيدتي، ثلاثة أشهرٍ في الريف.

بياتريتشى (باحتقار): لتذهبْ أنتَ إلى المصحَّة العقلية، أنت! اخرج من بيتي الآن، فورًا.

تشامبا: سيدتي! إلى أين ترسلينني؟ انتبهي جيدًا، أنا أتكلم لمصلحتك.

سبانو: ولكنْ هل يبدو لك هذا اقتراحًا معقولًا؟

فيفي: أين نحن؟!

تشامبا: حتى أنتَ يا سيد فيفي؟ حتى أنتَ لا تفهم أن هذا هو الحلُّ الوحيد لمصلحتها، ولمصلحة الفارس، ولمصلحة الجميع. ألا تفهم أن أختك قد أصابت الفارس أيضًا بالعار، وأنها يجب أن تُصلح موقفه هو أيضًا أمام البلدة كلها؟ سيقولون إنها مجنونة! ولن يتحدث أحدٌ بعد ذلك عمَّا حدث، سيفسر هذا الأمر كله، إنها مجنونة، مجنونة، ويجب أن تُحبس وتُقيَّد، وهكذا فقط لن يكون عليَّ الانتقام! سأُلقي بأسلحتي، سأقول: «إنها مجنونة؛ ماذا يجب أن يفعل المرء لمجنونة؟ ويكفي هذا! لن يخجل الفارس من أيِّ شيءٍ غدًا عندما يظهر بين أصدقائه، وستذهب السيدة للاستشفاء ثلاثة أشهرٍ في الريف، هيَّا، هيَّا بسرعة! لنُسرع، أفضل من هذا لا يوجد شيء، يجب أن ترحل هذه الليلة بلا تأخير.

فيفي: نعم، نعم، هذا حقيقي! هذا حقيقي! (إلى بياتريتشى) هل تفهمين! سنتظاهر بذلك!

بياتريتشى: ولكنْ مَن؟ أنا؟ أنتَ مجنون؟ أنا أذهب للمصحَّة؟ هل سَمعتِه يا أمي؟ المصحَّة العقلية!

آسونتا: ابنتي، إنه الحلُّ الوحيد، ألم تسمعي؟

سبانو: مجرد حلٍّ للموقف يا سيدتي، يبدو لي أنا أيضًا أفضل حل، فكري في سيدي الفارس يا سيدتي.

بياتريتشى: ولكنْ ماذا تقولون؟ هل تريدون فعلًا أن يعتقد الجميع أنني مجنونة؟

تشامبا: ولكنْ أمام البلدة كلها يا سيدتي، ألم تلطخي بالعار ثلاثة أشخاص؟ أحدهم بالزنا، والأخرى بالخيانة، وأنا بأنني تيس؟ آه، وأنتِ تريدين أن تقولي فقط إنكِ ارتكبتِ

عملًا جنونيًّا؟ هذا لا يكفي يا سيدتي! يجب أن تُثبتي أنكِ مجنونة، مجنونة فعلًا، يجب حبسك.

بياتريتشي: إن المجنون الذي يجب حبسه هو أنت.

تشامبا: لا يا سيدتي، بل أنتِ ولمصلحتك! ونحن جميعًا نعرف ذلك، إنكِ أنتِ المجنونة، ويجب أن يعرفه كل مَن بالبلدة. الأمر غاية في البساطة، أتعرفين يا سيدتي! لا تقلقي! إن التظاهر بالجنون سهل، صدِّقيني! سأقول أنا لك ماذا تفعلين؛ يكفي أن تبدئي في الصياح بالحقيقة في وجه الجميع، لن يصدِّقك أحدٌ وسيعتقد الجميع أنك مجنونة.

بياتريتشي (وقد استشاطت غضبًا)**:** آه، إذَن أنتَ تعرف أن معي حقًّا، وأنه كان معي حقٌّ في كل ما فعلته.

تشامبا: لا، آه لا لا! لنقلب الصفحة يا سيدتي! إذا غيرت الصفحة يا سيدتي ستقرئين فيها أنه لا يوجد في العالم شخصٌ أكثر جنونًا ممَّن يعتقد أنه على حقٍّ. هيا! اذهبي! ستستمتعين جدًّا بأن تتظاهري بالجنون لمدَّة ثلاثة أشهر! هل يبدو لك هذا شيئًا هيِّنًا؟ أن تتظاهري بالجنون! يمكنني أن أفعل هذا أيضًا، وكم سأحبُّ ذلك! أن أجذب هنا يا سيدتي (ويشير إلى الجهة اليسرى بإيماءاته المعتادة) سأجذب بالفعل الحبل المجنون، وأضع حتى أُذني القُبعة ذات الأجراس التي يضعها المجانين، وأن أنزل إلى الميدان لأبصق في وجه الناس بالحقيقة. إنه كنز الإنسان يا سيدتي، إنها تمنحك الحياة ليس فقط لمدَّة مائة بل مائتي عام! إنها تلك الأفواه المُرَّة، إنه الظلم، إنها الفضائح، والتجبُّر الذي نضطرُّ لابتلاعه. هي التي تمزق أحشاءنا! إنها عدم القدرة على الإفصاح عمَّا بداخلنا يا سيدتي! إنه عدم القدرة على شدِّ حبل الجنون! وأنتِ الآن تستطيعين ذلك، لتحمدي الله يا سيدتي! سيفيد ذلك صحتك لمائة عامٍ أخرى! لتبدئي إذَن في الصراخ، هيَّا اصرخي!

بياتريتشي: أبدأ في الصراخ؟

تشامبا: هيَّا، اصرخي في وجه أخيك. (ويدفعه أمامها) هيَّا! اصرخي في وجه المفوَّض (ويدفعه ليقف أمامها) هيَّا! تشجَّعي! اصرخي في وجهي! وإذا اقتنعتِ يا سيدتي أنك فقط بتظاهرك بالجنون، يمكنك أن تصرخي في وجهي وكأنني بالفعل تيس: باااااء …

بياتريتشي: حسنًا، باااااء … أنا أصرخ في وجهك بالفعل بااااء! بااااء! بااااء!

فيفي (محاولًا تهدئتها)**:** بياتريتشي!

سبانو (محاولًا تهدئتها)**:** سيدتي.

آسونتا (محاولةً أن تهدِّئها)**:** ابنتي!

بياتريتشى (وهي تصرخ غاضبةً)**:** لا! إنني مجنونة ويجب أن أصرخ في وجهه: بااااء! بااااء! بااااء!

تشامبا (وبينما يحاول الجميع تهدئة وإبعاد بياتريتشى التي كانت تصرخ وكأنها مجنونة بالفعل)**:** إنها مجنونة! ها هو الدليل: مجنونة! آه يا للروعة! يجب حبسها! يجب حبسها! (يرقص من الفرحة ويصفق بيديه، لحظة من الارتباك الشديد، وأيضًا لأنه بسبب صراخها يأتي الجيران والجارات من المنازل المجاورة ووجوههم شاحبة، ويسألون بصوتٍ واحد، بالإيماءات وبالكلمات عمَّا يحدث. وتشامبا مستمرًّا في التصفيق بيديه، محتفلًا وفي قمة فرحته يجيب لواحدٍ ثم للآخر) إنها مجنونة! مجنونة! سيأخذونها إلى المصحَّة! مجنونة!

(وبينما جميع هؤلاء الفضوليين يدفعهم بهدوء المفوَّض، وأحيانًا أخرى الأخ، ينسحبون بهدوء، وهم يعلِّقون بأصواتٍ منخفضة رأيهم في هذه الكارثة، يُلقي تشامبا بنفسه ليجلس على مقعدٍ وسط المشهد، منفجرًا في ضحكةٍ بشعةٍ تنمُّ عن الغضب والمتعة الوحشية والاحتقار في آنٍ واحد.)

(يُسدل الستار.)


هنــداوي


MOHAMED KHATAB